رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

سلسلة منشورات مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض

(٣٣)

شرح
عقيدة الإمام المجدد
محمد بن عبد الوهاب

أجزل الله له المثوبة والمغفرة

لمعالي الشيخ

د. صالح بن فوزان الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين



مكتبة دار المنهاج

للنشر والتوزيع بالرياض

شرح
عقيدة الإمام المجدد
محمد بن عبد الوهاب

ح مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الفوزان، صالح بن فوزان
شرح عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله. / صالح بن فوزان الفوزان.-الرياض، ١٤٢٦هـ
١٨٤ص؛ ١٧×٢٤سم.
ردمك: ٢-٩٠٧-٤٧-٩٩٦٠
١ - العقيدة الإسلامية ٢ - التوحيد أ - العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٢٦/٢٨١٨

الطبعة الثانية

١٤٣١هـ

مكتبة دار المنهاج
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية. الرياض
المركز الرئيسي - طريق الملك فهد - شمال الجوازات
هاتف ٤٠٦٥٥٥٢ - فاكس ٤٠٨٣٦٩٨ - ص.ب: ٥١٩٩٩ - الرياض ١١٥٥٣
الفروع - طريق خالد بن الوليد (الكاس سابقاً) ت: ٢٣٢٢٠٩٥
المدينة النبوية - طريق سلطانة - ت: ٠٤/٨٤٦٧٩٩٩
مكة المكرمة - الجميزة - الطريق النازل للحرم - ت ٠٢/٥٣٦١٣٧٧

سلسلة منشورات مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض ٣٢

شرح
عقيدة الإمام المجدد
محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

أجزل الله له المثوبة والمغفرة

لمعالي الشيخ

د. صالح بن فوزان الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

مكتبة دار المنهاج

للنشر والتوزيع بالرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق،
والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي جاء ببيان الهدى وإيضاح الحقائق،
وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى وغيظ كل كافر ومنافق.

أما بعد: فإنه لما أشرقت دعوة التوحيد - ولله الحمد - في هذه البلاد على يد الشيخ الإمام المجدد: محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله. وانقشعت غيوم الشرك والبدع لم يرق ذلك لأعداء الدين من الكفار والمنافقين والمبتدعة والخرافيين، شأنهم مع دعوة الرسل في كل زمان ومكان فراحوا يروجون التهم ويفترون الكذب على هذا الإمام وعلى دعوته (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) حتى إنهم شككوا في عقيدة الشيخ ونواياه إبقاءً على عقائدهم الباطلة ونواياهم القبيحة. فجاءت إلى الشيخ من أهالي القصيم رسالة يسألونه فيها عن عقيدته فأجابهم برسالة يوضح فيها عقيدته وأنها عقيدة السلف الصالح التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاها عنه صحابته وسار عليها أهل السنة والجماعة. وكنت قد ألقيت دروساً في شرح هذه الرسالة سجلها الحاضرون من الطلبة جزاهم الله خيراً وطلبوا مني الموافقة على نشرها فأذنت لهم بذلك لعل من قرأها يجد فيها فائدة أو ينبهني على خطأ وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

كتبه صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

٢٧/٢/١٤٢٦هـ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي جاء ببيان الهدى وإيضاح الحقائق، وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى، وغيظ كل كافر ومنافق.

أما بعد: فإنه لما أشرقت دعوة التوحيد ـ ولله الحمد ـ في هذه البلاد على يد الشيخ الإمام المجدد: محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وانقشعت غيوم الشرك والبدع، لم يرُق ذلك لأعداء الدين من الكفار والمنافقين والمبتدعة والخرافيين، شأنهم مع دعوة الرسل في كل زمان ومكان، فراحوا يُروِّجُون التُّهم، ويفترون الكذب على هذا الإمام وعلى دعوته، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢]، حتى إنهم شكّكوا في عقيدة الشيخ ونواياه إبقاءً على عقائدهم الباطلة ونواياهم القبيحة.

فجاءت إلى الشيخ من أهالي القصيم رسالة يسألونه فيها عن عقيدته، فأجابهم برسالة يوضح فيها عقيدته، وأنها عقيدة السلف الصالح التي جاء بها رسول الله ﷺ، وتلقاها عنه صحابته، وسار عليها أهل السنّة والجماعة.

وكنت قد ألقيت دروساً في شرح هذه الرسالة سجلها الحاضرون من الطلبة جزاهم الله خيراً، وطلبوا مني الموافقة على نشرها، فأذنت لهم بذلك لعل من قرأها يجد فيها فائدة، أو ينبهني على خطأ، وصلَّى الله وسلم على نبيّنا محمد وآله وصحبه.

✍ كتبه

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

في ١٤٢٦/٢/٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن المسلمين في عصر الصحابة والتابعين كانت عقيدتهم معروفة معلومة، هي ما جاء في كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ وما تركهم عليه رسول الله ﷺ.

كانت العقيدة معروفة في عصر الصحابة والتابعين والقرون المفضلة، القرون الأربعة، وإن كان دخل في آخر هذه القرون شيء من الاختلاف وظهور الفِرَق؛ كالخوارج والقدرية والشيعة، لكن كان الدين قوياً وكان الإسلام عزيزاً، وكان أهل الشرّ يختفون ولا يُظْهِرون شرَّهم، فلما انقضت القرون المفضلة ظهرت الشرور وجاهر أهل الضلال بضلالهم، من جهمية ومعتزلة وباطنية وشيعة، وغيرهم من الفِرَق الضالّة؛ كالصوفية والقبورية والنِّحَل الباطلة، ولكن كان الإسلام أيضاً قوياً في عصر الدولة الأموية، وكان العلماء لهم جهدهم ومكانتهم، وكانوا يقاومون هذه الأفكار، فكان الزنادقة يُقتلون في عهد الدولة الأموية؛ كما قُتل الجعد بن درهم وغيره لمَّا جاهروا بزندقتهم.

ثم جاءت دولة بني العباس وكان أيضاً فيها قوة، في أول الدولة

قوة وللإسلام هيبة، والعلماء لهم مكانة، وكان الأشرار لا يتمكنون من إظهار شرّهم بحرية، فلما جاء آخر دولة بني العباس جاء المأمون العباسي ابن هارون الرشيد، الذي خرج على أخيه الأمين وقتله وحاز السلطة، وكان رجلاً قوياً وذكياً أيضاً وعالماً، ولكن داخَلَه أهلُ الضلال، واتخذ منهم بطانة صاروا من حوله؛ كابن أبي دؤاد، وبشر المريسي، فاستمالوه إلى ضلالهم وعقيدتهم، فتأثر بهم، وزيّنوا له ترجمة الكتب الأجنبية، وأنشأ داراً للترجمة سموها دار الحكمة، وهي دار النقمة، وترجموا الكتب الرومية بما فيها من ضلال وشر، فجاءت العقائد الضالة من هذا الطريق لمَّا تُرجمت هذه الكتب؛ كما ذكر الشيخ تقي الدين رحمه الله أنه لمَّا تُرجمت الكتب الرومية زاد الشر[1].

وفي النهاية أقنعوه بالقول بخلق القرآن وأنه هو الحق، فاقتنع بذلك، مسكوا قياده مع قوته وصلابته، فأهل الشر لا يُتهاون بهم أبداً، والواجب إبعادهم عن الساحة، وإلا فإنهم يَدُسُّون شرّهم، ويضعف معهم القوي.

فاقتنع المأمون بقولهم، وأراد حمل الناس على القول بخلق القرآن والعياذ بالله، كلام الله ﷻ المصدر الأول للشريعة أرادوا أن يجتثوه من الأمة، فيقولوا: إن القرآن مخلوق وليس هو كلام الله. فاقتنع بهذا الرأي.

ولكن وقف الأئمة وفي مقدمتهم الإمام أحمد رحمه الله، وقفوا ضد هذه الفكرة الضالّة موقفاً حازماً وأبَوْا أن يقولوا بخلق القرآن، وعُذِّب منهم من عُذِّب؛ كالإمام أحمد، وقُتل منهم من قُتل، ولكنهم صبروا

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٢٢).

ووقفوا في وجه المعتزلة، فَثَبَّتَ الله بهم الدين، وَثَبَّتَ بهم العقيدة الصحيحة، ودَحَر أهلَ الشر.

وتوالى بعد المأمون أخوه المعتصم بن هارون الرشيد، ثم الواثق بن المأمون، أخذوا هذا المنهج وأرادوا حمل الناس على القول بخلق القرآن، وكلهم عَذّبوا الإمام أحمد وضربوه، ولكنه لم يُعطهم كلمة واحدة، بل يقول: القرآن كلام الله. وإذا قالوا له؛ قال: هاتوا لي من القرآن أو من السنّة دليلاً على قولكم، فيعودون عليه بالضرب، ويُغمى عليه رَحِمَهُ اللهُ، ولكنه أبى، حتى إنه سالت دماؤه رَحِمَهُ اللهُ من الضرب، وغاب فكره من شدة الضرب، وصمد إلى أن جاء عصر المتوكلَ بن هارون الرشيد، فَخَلَّصَ اللهُ به أهلَ السنّة ونصر الحق، وقمع أهل البدع، ثم قُتِلَ المتوكل، اغتاله أهل الشر[1].

وما زال الأمر في ضعف إلى أن جاء آخر خلفاء بني العباس واستوزر الشيعة، وهم أخبث من الجهمية، فاستوزر ابن العلقمي، ونصير الكفر الطوسي، فجرّوا عليه التتار المغول من المشرق الذين غزوا بلاد المسلمين واجتاحوها وقتلوا الخليفة، وأخذوا الكتب الإسلامية وألقوها في نهر دجلة، وقتلوا من المسلمين مئات الألوف، واجتاحوا بلاد المسلمين، وكان المسلمون يقاومونهم في كل بلد، وفي النهاية خذل اللهُ التتارَ، ومنهم من أسلم.

وبقي الإسلام ـ ولله الحمد ـ قوياً عزيزاً، ويقيض الله له من ينصره ويحميه ويدافع عنه، ظهر شيخ الإسلام ابن تيمية في وقت مُدْلَهِمّ، الفِرَق تتجاذب الناس: صوفية، وجهمية، ومعتزلة، وقبورية،

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٠/ ٣٣٣) وما بعدها.

وشيعة، يعيش العالم الإسلامي في أمواج من الفتن، وفي هذه الأثناء ظهر شيخ الإسلام ابن تيمية، تخرّج على كتب السلف الصالح النقية، ودَرَس الكتب الضالة والمنحرفة وعرف الشُّبه التي بُنيت عليها، وقام يدعو إلى الله ﷻ ويؤلّف الكتب ويُدَرِّس، فنُفي وسُجن، لكنه لم يُثْنِه ذلك عن الجهاد: الجهاد بالسيف، فخاض المعارك وقاتل بالسيف، والجهاد بالقلم، والجهاد باللسان والحجة، حتى قيّض الله له طلاباً حملوا علمه؛ كابن القيّم وابن كثير والذهبي، وغيرهم من الأئمة الكبار، فانتشرت الدعوة، وبزغ فجر الدعوة والتجديد في دين الإسلام، والرد على الشُّبه وعلى الضلالات من شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته رحمهم الله تعالى.

ثم جاءت حقب متوالية ضَعُفَ فيها مذهب أهل السنّة، وكَثُرت البدع، وانتشرت الضلالات، بعد عصر شيخ الإسلام وتلاميذه، جاء عصر الركود وعصر الجمود وعصر التقليد الأعمى، وبلاد نجد ما كانت تُذكر، بل مغفول عنها، تُعتبر بادية أو شبه بادية، قرى ومزارع وبادية، ليس فيها مطمع لأحد، وكل بلدة عليها أمير يحكمها مستقل بها عن الآخر، فأمير عرقة لا يخضع لأمير الدرعية مع ما بينهما من التقارب، كل واحدة تعتبر مملكة مستقلة.

وكان علماء الحنابلة في نجد معنيين بالفقه، يدوِّنون الفقه ويحرِّرونه ويؤلفون فيه وينسخونه ويدرسونه، أما في العقيدة فكانوا على عقيدة الأشاعرة وعقيدة الماتريدية، وعندهم تصوّف وعندهم بدع، وعندهم ما عند البلاد الأخرى، بل يزيدون بكثرة الجهل بينهم في باديتهم وفي قراهم، نعم كان في القرى علماء لكنهم علماء فقه فقط، وكانوا يذهبون إلى الشام يتتلمذون على علماء الشام الحنابلة،

ويحملون عنهم الكتب والفقه في مذهب الإمام أحمد.

وهذا خيرٌ كثير، لكن العقيدة ليس لهم بها اهتمام، الناس كلٌّ على ما هو عليه، من صوفية وقبورية وشرّ، والسَّحَرَة لهم نشاط، والكُهّان لهم نشاط، والقبائل تحكم بالأعراف القبلية، وهكذا.

وفي هذه الأثناء أظهر اللهُ شيخَ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وأعطاه الله من الذكاء والفطنة ما جعله يدرك ما عليه الناس، فكان من صغره يقرأ ويلاحظ ويطالع في كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيّم، ويقرأ في كتب السلف، هو وحده فقط، ثم إنه لم يكتف ببلده، فسافر إلى البلاد الأخرى، سافر إلى مكة حاجاً وأخذ عن علمائها، وسافر إلى المدينة زائراً للمسجد النبوي وأخذ عن علمائها، ثم سافر إلى الأحساء وأخذ عن علمائها، ثم سافر إلى العراق، وقصد إلى البصرة، ولقي فيها من العلماء مَنْ لقي، وتتلمذ عليهم وتعلم منهم ونسخ من الكتب، ثم أراد أن يسافر إلى الشام ولكن لم يتيسر له ذلك، ثم رجع إلى بلاده وكان حزيناً وأسِفاً مما عليه الناس، ولم يسعه السكوت على ما عليه الناس كما وسع علماء زمانه، فبدأ بالدعوة على بصيرة وهدى.

بدأ الدعوة في بلدة حريملاءِ، مقر أبيه حيث كان قاضياً فيها، ثم إنه لم يطب له المقام فيها فرحل إلى العيينة وكانت تحت إمرة ابن معمر، وعرض على أميرها هذه الدعوة فتقبّلها الأمير، ونَاصَر الشيخ وقامت الدعوة، وبدأ الشيخ بتغيير المنكرات، فهدم القبة التي على قبر زيد بن الخطاب في العيينة، التي كان الناس يقصدونها، وأقام حد الزنا، فرجم الزانية التي اعترفت.

فلما بلغ أمير الأحساء ابن عريعر الخالدي غضب على ابن معمر، وتهدّده بأن يقطع ما يعطيه من المرتب إن لم يطرد هذا المطوّع

من بلده، فابن معمر عرض على الشيخ ما جاءه من التهديد، فالشيخ أراد أن يطمئنه فقال له: ما عند الله من الرزق خير لك مما يعطيك فلان، عليك أن تتوكل على الله، والله ـ جلّ وعلا ـ يكفي من توكل عليه، ويغنيك الله عن ذلك.

لكن الرجل ما اقتنع وطلب من الشيخ المغادرة، وغادر الشيخ ﷺ العيينة، إلى أين يذهب؟ ذهب إلى الدرعية، وكان فيها الأمير محمد بن سعود، وكان الأمير ابن سعود مثل غيره من الأمراء، يمشون على ما هم عليه، ويسمعون عن هذا المطوّع الذي جاء للعيينة ويأخذون حذرهم منه، ولكن الشيخ ذهب إلى تلميذ له يقال له ابن سويلم في الدرعية، ونزل ضيفاً عنده، ولم يعلم به أحد، كان أمره خُفية.

علمت امرأة الأمير بقدوم الشيخ، وكان قد هداها الله وسمعت بدعوة الشيخ واقتنعت بها، فقالت لزوجها الأمير محمد بن سعود: هذا العالم الذي جاء إلى بلادك رزق ساقه الله إليك، فاغتنمه قبل أن يأخذه غيرك. فما زالت به حتى اقتنع بقولها، فقال: قولوا له يجيئني، فقالت: لا، إذا طلبته قال الناس: يريد أنْ يعذّبه، أو يريد أن يقتله، لكن اذهب له أنت لكي يقدّره الناس ـ انظرْ إلى حنكتها وسياستها رحمها الله ـ فذهب الأمير إلى بيت ابن سويلم، وكان ابن سويلم خائفاً على الشيخ، ولما جاء الأمير زاد خوفه، فدخل الأمير على الشيخ وسلّم عليه، وعرض عليه الشيخ أمره فشرح الله صدره لهذه الدعوة وقبلها، ووعد الشيخ بأن يناصره وأن يقوم معه، وتعاهدا على ذلك.

ومن ذلك الوقت قامت الدعوة في الدرعية، وجلس الشيخ للتدريس والمناصحة والكتابة، وصار الطلاب يتوافدون عليه، ووجد من يأويه ويناصره، وصار يكاتب البلدان يدعوهم إلى الله، ثم إنهم كوّنوا الجيش

للجهاد فغزوا ما حولهم من البلدان، ونصرهم الله على ما حولهم من البلدان، ودخلت تحت ولاية الأمير محمد بن سعود، فبدلاً من كونه أميراً على الدرعية فقط صار أميراً على نجد كلها، ودخلت البلاد تحت إمرته، وقام جيش الجهاد في سبيل الله ﷻ، وقامت الدعوة(١).

في هذه الفترة أهل الشرّ صاروا يُلبّسون على الناس فيقولون: إن ابن عبد الوهاب يريد يغير دين المسلمين، وأنه جاء بدين جديد، وأنه جاء يكفّر المسلمين، وأنّه، وأنه.

فأهل القصيم، كتبوا له يسألونه، وهذا شيء طيب أنك لا تصدق الشائعات فتكتب للشخص تسأله، كتبوا يسألونه عن عقيدته؛ لأنها شُوّهت عندهم، وقيل: إنه رجل خرج يريد أن يُكفّر الناس، ويقتل الناس، ويغير دين الناس، وقيل ما قيل.

فكتب الشيخ رحمه الله هذه العقيدة، ليُبين عقيدته، وأن عقيدته هي عقيدة أهل السنّة والجماعة، وأنه ما جاء بشيء جديد، وأن ما نُسب إليه كذب، وكتب غير هذه الرسالة في ردوده الموجودة في «الدرر السنية» على الشبهات التي وُجهت إليه، ومنها كتاب «كشف الشبهات»، أجاب عن الشبهات التي أثاروها حوله.

فهذا أصل هذه الرسالة أنها جواب عن سؤال عن عقيدته، وكان في القصيم علماء أيضاً، وكانوا على اتصال بعلماء الشام الحنابلة، فلما بلغهم خبر الشيخ وما أُثير حوله كتبوا إليه يسألونه عن عقيدته، فكتب رحمه الله هذه الرسالة يُبين فيها عقيدته، وما هو عليه، ويدفع ما شُبّه ضده.

(١) انظر: «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/٣١) وما بعدها.

وهذه حالة الدعوة إلى الله، الذين يدعون إلى الله لا بدّ أن ينالهم شيء من الأذى والتهديد والتخويف، ولكنهم يصبرون على ذلك، ويثبتون عليه، ويجيبون عن الشبهات التي تعترض سبيلهم، وهذا مما يؤكد على أن الداعية يجب أن يكون عالماً يستطيع أن يُجيب عن الشبهات، وأن يبين الحق من الباطل، وأن يكون متسلحاً بالعلم.

الشيخ ﵀ ما باشر هذه الدعوة العظيمة إلا بعد أن تأهل لها، بعد أن تعلّم والتقى بالعلماء في البلاد التي سافر إليها، وقرأ الكتب، ثم بعد ذلك باشر الدعوة وهو مسلّح بالعلم والحجج، فنصره الله ﷻ مع إخلاص النية لله ﷻ، وأنه لا يريد علوّاً في الأرض ولا فساداً، ولا مالاً ولا جاهاً، وإنما يريد وجه الله ﷻ، ويريد نصرة هذا الدين وبيان الحق والنصح للخلق، فهو مشفق على الخلق أن يهلكوا، وهو بينهم ولديه معرفة بالحق، فرأى أن يقوم بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فرأى أنه لا يسعه ـ رحمه الله تعالى ـ إلا هذا.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ في رسالته إلى أهل القصيم لما سألوه عن عقيدته:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

أُشْهِدُ الله، ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية، أهل السُّنّة والجماعة.

قوله: «أُشْهِدُ الله ومن حضرني من الملائكة وأُشْهِدكم»، كأنّ هذا مأخوذاً من قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، فهو يُشهد الله ـ جلّ وعلا ـ، ويُشهد الملائكة، ويُشهد العلماء على عقيدته، وأنه ما جاء بشيء جديد أو بتغيير لدين الله كما يُقال عنه، وإنما جاء بالحق الصريح.

وقوله: «اني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية»، عقيدة الفرقة الناجية هي التي قال فيها النبي ﷺ: **«ستفترق هذه الأُمّة على ثلاثٍ وسبعين فِرقة، كلّها في النار إلا واحدةً»**، قالوا: من هي؟ قال: **«من كان على مِثْل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»**(١).

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (٢٦٤١)، والحاكم في «المستدرك» (١/١٢٩) وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.
وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/١٢٥ رقم ٦٧٣١)، وأبو داود في «سننه» (٤٥٩٦) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وجاء عن جماعة آخرين من أصحاب النبي ﷺ. انظر: «السنّة» لابن أبي =

سُميت الناجية لأنها نجت من النار، كل هذه الفرق في النار إلا هذه الفرقة، فهي الناجية من النار، وهذه أوصافها:

أولاً: أنها الناجية.

ثانياً: أنهم «**أهل السُّنّة**»، الذين يأخذون بالسُّنّة، وهي طريقة الرسول ﷺ. وهي تعني القرآن وتعني الأحاديث الصحيحة، ما كان عليه الرسول ﷺ؛ كما قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»، ولم يأخذوا بمذهب الجهمية أو المعتزلة أو الخوارج أو غيرهم من الفِرق، إنما أخذوا منهج أهل السُّنّة المتمسِّكين بالسُّنّة.

ثالثاً: «**والجماعة**»، سمُّوا بالجماعة؛ لأنهم مجتمعون على الحق، ليس بينهم اختلاف، لا يختلفون في عقيدتهم، إنما عقيدتهم واحدة، وإن كانوا يختلفون في المسائل الفقهية والمسائل الفرعية المستنبطة، فهذا لا يضر، الاختلاف في الفقه لا يضر؛ لأنه ناشئ عن اجتهاد، والاجتهاد يختلف، والناس ليسوا على حدّ سواء في مَلَكَةِ الاجتهاد، أما العقيدة فإنها لا تَقْبَل الاجتهاد، بل يجب أن تكون واحدة؛ لأنها توقيفية، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢]، هذه أمة واحدة لا تقبل الاختلاف، تعبد رباً واحداً، وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون: ٥٢، ٥٣].

ذَمّ الذين اختلفوا؛ لأن الاختلاف في العقيدة لا يجوز، فالله أمرهم أن يكونوا أمة واحدة فعصَوْه، ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾، أي:

= عاصم (٦٣ ـ ٦٩)، و«نظم المتناثر من الحديث المتواتر» للكتاني (ص٤٥) وما بعدها.

كُتباً؛ كما قال قتادة ومجاهد[1]، كل واحد عنده كتاب، وكل واحد عنده عقيدة، وعقيدة هذا غير عقيدة هذا، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ كلٌّ يرى أنه على الحق وغيره على الباطل، لا يقول: نرجع إلى كتاب الله وسنّة رسول الله كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، بل كلٌّ يقول إنه على الحق وحده ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ومقتنع بما لديه، بل ومتعصب له، ولا يرى أن قوله عُرْضة للخطأ والصواب.

* * *

(١) أثر قتادة أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/٤٦)، والطبري في «تفسيره» (١٨/٢٩).

وأثر مجاهد أخرجه الطبري أيضاً في «تفسيره» (١٨/٣٠). وانظر: «الدر المنثور» (٦/١٠٣).

من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشرّه.

هذه أصول الإيمان وأركانه، يؤمن بها الشيخ، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشرّه؛ كما في حديث جبريل لما سأل النبي ﷺ بحضرة أصحابه، فقال: أخبرني عن الإيمان، فقال: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه**»(١). قال العلماء: هذه أركان الإيمان.

والإيمان له أركان، وله شُعب، أركانه ستة، وشُعَبه: «**بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضَلُها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطّريق..**»(٢)، فالإيمان له شعب كثيرة، وأما أركانه ـ أي جوانبه التي يقوم عليها ـ فهي ستة أركان:

الركن الأول: الإيمان بالله، وهو الأساس، والإيمان بالله يشمل أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة، أنهم عبادٌ من عباد الله تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يأتمرون، خلقهم الله من نور، وهم من عالم الغيب الذين لا نراهم، ولكن نؤمن بهم، وقد جعلهم الله أصنافاً، كل صنف من الملائكة له عمل يقوم به في هذا الكون، فمنهم الحفظة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويكتبونها ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخرجه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٩، ١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، ومنهم حملة العرش، ومنهم الموكّل بالوحي وهو جبريل عليه السلام، ومنهم الموكل بالقطر وهو ميكال، ومنهم الموكل بالموت: وهو ملك الموت، ومعه ملائكة الموت، ومنهم أصناف لا يعلمها إلا الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، جنود الله عز وجل كثيرة.

الركن الثالث: الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على الرسل، فالله ـ جل وعلا ـ أرسل الرسل وأنزل الكتب من عنده سبحانه، بوحْيِهِ وشرائعه وأمره ونهيه، منها التوراة، ومنها الإنجيل، ومنها الزبور، ومنها القرآن، ومنها كتب لم يذكرها الله لنا، ولكننا نؤمن بها جملة، ونؤمن بما ذكره الله باسمه مفصّلاً، وآخرها وأعظمها: القرآن العظيم الذي أعجز الثقلين ـ الجن والإنس ـ على أن يأتوا بسورة واحدة من مثله.

الركن الرابع: الإيمان بالرسل الذين أرسلهم الله بشرائعه ودينه لهداية خلقه، الله ـ جلّ وعلا ـ أرسل الرسل ليبين للناس ما يضرهم وما ينفعهم، ويبين لهم دينهم، والله ـ جلّ وعلا ـ أقام الحجة بهم ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، أما عددهم فلا يعلمهم إلا الله، وهم كثيرون، ومنهم من سمّى الله لنا في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٣ ـ ٨٦]. فهؤلاء سمّاهم الله،

فنؤمن بهم بأعيانهم، ومن لم يسمّه الله نؤمن به جملة.

قال الله - جلّ وعلا -: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، فنؤمن بهم جميعاً من سمّى الله ومن لم يسّم منهم، فَمَنْ كفر بنبي واحد كفر بالجميع، فلا بدّ من الإيمان بهم جميعاً، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١]، والله - جلّ وعلا - قال لنا: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر، وهو البعث بعد الموت؛ لأن الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء، والدنيا مزرعة للآخرة، فهي دار عمل وليس فيها جزاء، والآخرة دار جزاء وليس فيها عمل، لا بدّ من الإيمان باليوم الآخر، من لم يؤمن باليوم الآخر فهو كافر، قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧]، أيها الإنسان تعيش في هذه الدنيا وتأكل وتشرب وتكفر وتفسق كأنه ليس أمامك بعث وحساب وجزاء، فالله - جلّ وعلا - جعل الآخرة للجزاء، وهذا عدل منه سبحانه أنه لا يضيع عمل العاملين، يجازي كلًّا بعمله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]، لو لم يكن هناك بعث لصار الخلق عبثاً، والله سبحانه منزّه عن العبث.

الركن السادس: الإيمان بالقدر، والقدر هو سرّ الله - جلّ وعلا -،

والقدر هو ما قدَّره الله مما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، جرى القلم بالمقادير، وكُتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة، فلا يقع شيء إلا بقدر ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، فالأمور ليست عبثاً أو أُنفاً، بل هي مقدَّرة من قبل ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]، قوله: ﴿كِتَٰبٍ﴾ هو اللوح المحفوظ، وقوله: ﴿قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ يعني: نخلقها ونوجدها.

والإيمان بالقدر على أربع مراتب:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله ـ جلّ وعلا ـ الأزلي الأبَدي المحيط بكل شيء، أي: نعتقد أن الله عَلِمَ كل شيء، عَلِمَ ما كان وما يكون.

المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة.

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة والإرادة، ما شاءه الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الرابعة: مرتبة خلق الأشياء في أوقاتها المقدرة لها، كل شيء في وقته، كل شيء في حينه الذي قدّره الله ـ جلّ وعلا ـ.

لا بدّ من الإيمان بهذه المراتب الأربع: مرتبة العلم، مرتبة الكتابة، مرتبة المشيئة، مرتبة الخلق والإيجاد. هذا هو الإيمان بالقضاء والقدر.

* * *

ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسانِ رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل.

لما ذكر أركان الإيمان بيَّن ما يدخل في الأول، وهو الإيمان بالله، أنه يدخل فيه الإيمان بالأسماء والصفات، فمن جحد الأسماء والصفات لم يكن مؤمناً بالله الإيمان الصحيح، وهذا ردٌّ على المعطلة الذين عطلوا أسماء الله وصفاته لأنهم لم يؤمنوا بالأسماء والصفات.

فمن الإيمان بالله الإيمان بأسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسُّنّة «**من غير تحريف ومن غير تعطيل**»، التحريف: هو التغيير، أي: تغيير الألفاظ، أو تغيير المعاني، هذا هو التحريف.

تُحرَّف الألفاظ بأن يُزاد فيها أو يُنقص، مثل: «استوى» قالوا: «استولى»، هذا تحريف لفظ، حيث زادوا حرفاً.

ومن تحريف المعنى: تفسير الاستواء بالاستيلاء، وتفسير اليد بالقدرة، وتفسير الوجه بالذات، هذا من تحريف كلام الله ﷻ، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦].

قوله: «**ومن غير تعطيل**»، التعطيل هو: جحد الأسماء والصفات وإخلاء الله منها.

* * *

بل أعتقد أن الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرِّف الكلم عن مواضعه، ولا ألحد في أسمائه وآياته.

المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يعتقد ما دلّت عليه هذه الآية؛ لأنها ميزان في جميع الأسماء والصفات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ في أسمائه وصفاته، وإن كانت أسماؤه تشترك مع أسماء المخلوقين في ألفاظها ومعانيها لكن لا تشبهها في حقيقتها وكيفيتها، فالاشتراك في اللفظ وأصل المعنى لا يقتضي الاشتراك في الحقيقة والكيفية؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ في هذا رد على المعطلة، فنفى عن نفسه المثلية، وأثبت لنفسه الأسماء والصفات، السمع والبصر، فَدَلَّ على أنَّ إثبات الأسماء والصفات لا يقتضي التشبيه. وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ هذا فيه نفي ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ هذا فيه إثبات، نفى عن نفسه المثلية، وأثبت لنفسه الأسماء والصفات.

وقوله: «لا أنفي عنه ما وصف به نفسه»؛ كما فعلت المعطلة.

وقوله: «لا أُلحد»، الإلحاد في اللغة هو: الميل، والإلحاد في الأسماء والصفات هو: الميل بها عن مدلولها إلى مُدلول باطل؛ كتفسير الوجه بالذات واليد بالقدرة أو النعمة، وهكذا. هذا تحريف للكلم عن مواضعه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ [فصلت: ٤٠]، ﴿يُلْحِدُونَ﴾ يعني: يميلون بها إما بجحدها كما فعلت المعطلة، وإما بتشبيهها بصفات خلقه كما فعلته الممثلة، وإما بالزيادة عليها شيئاً لم يثبته الله ولا رسوله ﷺ، وإما بجعلها أسماءً للأصنام كاللّات والعزّى... إلى آخره.

ولا أُكَيِّف، ولا أُمَثِّل صفاته تعالى بصفات خلقه؛ لأنه تعالى لا سَمِيَّ له ولا كفؤ، ولا نِدّ له، ولا يُقاس بخلقه، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً.

هذا القسم الثاني من الضّلّال في أسماء الله وصفاته: المُمَثِّلة، زادوا في الإثبات وغَلَوْا في الإثبات، ولم يفرقوا بين صفات الله وصفات خلقه، ولا بين أسمائه وأسماء خلقه، هؤلاء مشبهة والعياذ بالله؛ ولهذا قال أهل العلم: «**المعطّل يعبد عدماً والممثّل يعبد صنماً**»[(١)]. فقولهم: المعطل يعبد عدماً؛ لأن الذي ليس له أسماء وصفات: عدم، والممثل يعبد صنماً من البشر؛ لأنه جعل الله مثل البشر، تعالى الله عن ذلك.

فقوله: «**ولا أُكَيِّف، ولا أُمَثِّل صفاته تعالى بصفات خلقه**»، يعني: لا أعلم كيفيتها ولا مثليتها، وإنما هذا من علم الله ـ جلّ وعلا ـ، لا يعلم كيفية صفاته إلا هو، ولا يعلم كيفية ذاته إلا هو ﷻ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠]، فالمؤمنون يعلمون ربهم، وأنه هو ربهم وخالقهم، ويعلمون وجوده وكماله، لكن لا يحيطون به.

وقوله: «**لا سَمِيّ له**»، يعني: لا أحد يستحق اسمه على الحقيقة، وليس معنى «**لا سَمِيّ له**»: لا أحد يُسمّى باسمه؛ لأنه يُسمّى المخلوق: العزيز، والملِك، يُسمّى المخلوق بما يوافق اسم الخالق في الحروف

---

(١) انظر: «الجواب الصحيح» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٤٠٦)، و«منهاج السنّة النبوية» (٢/٥٢٦)، و«مجموع الفتاوى» (٥/١٩٦)، و«الصواعق المرسلة» لابن القيم (١/١٤٨).

والمعنى، لكن لا يوافقه في الكيفية، فمعنى «لا سَمِيّ» يعني: لا أحد يستحق اسمه على الحقيقة؛ كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أي لا أحد يساوي الله ـ جلّ وعلا ـ في أسمائه وصفاته.

وقوله: «ولا كفؤ»؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، أي لا أحد يكافيه سبحانه ويساويه ـ جلّ وعلا ـ.

وقوله: «ولا نِدّ له»، الند: هو المثيل أيضاً، ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ جمع ند، وهو المثيل، ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ [إبراهيم: ٣٠]، فالذين عبدوا الأصنام جعلوها أنداداً لله، مشابهة له ﷻ، وإلا لماذا عبدوها معه؟ ولهذا يوم القيامة يقولون: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]، يعترفون أنهم ساووهم برب العالمين في الدنيا، فاستحقوا النار يوم القيامة من باب التحسر. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، ﴿يَعْدِلُونَ﴾ يعني: يساوون به غيره من المخلوقين.

وقوله: «ولا يُقاس بخلقه»، فهو سبحانه لا يُقاس بخلقه في أسمائه وصفاته، فالأسماء والصفات وإن كانت تشترك في اللفظ وجملة المعنى لكنها تختلف في الحقيقة والكيفية.

وقوله: «فهو سبحانه أعلم بنفسه وبغيره»، هو أعلم بنفسه وأما غيره فلا يعلم عن الله إلا ما علّمه الله ـ جلّ وعلا ـ؛ الملائكة تقول: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢]، والله ـ جلّ وعلا ـ يقول لنبيه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، والله ـ جلّ وعلا ـ يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، ويقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[الإسراء: ٨٥]، فهو سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأما غيره فلا يعلم حقيقة الله وكيفية الله ـ جلّ وعلا ـ، لا يعلمها إلا الله ﷻ.

وقوله: «وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً»؛ كما في القرآن: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، لا أحد أحسن من الله ولا أصدق من الله، والله قال في كتابه أنه سميع، وأنه بصير، وأنه حكيم، وأنه عليم، وأن له وجهاً، وأن له يدين، قال هذا عن نفسه سبحانه وتعالى، فهو أعلم بنفسه.

ثم يأتي هؤلاء المعطلة ويقولون: هذا لا يليق بالله، ما يليق بالله أن يقال: له وجه، ولا يقال: له يد، ولا يقال: إنه سميع ولا بصير؛ لأن هذه الصفات في الخلق موجودة وإذا أثبتناها شبهنا الله بخلقه!!.

* * *

فَنزَّه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل، فقال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢].

نزّه نفسه ﷻ عن مذهب الطائفتين ـ مذهب الممثلة، ومذهب المعطلة ـ وأثبت لنفسه الأسماء والصفات على ما يليق بجلاله ﷻ؛ ولهذا قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٥٩﴾ [الصافات: ١٥٩]، وقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣]، نزّه نفسه عن ذلك.

هذا هو المذهب الحق، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة، وهو الذي قال الشيخ ـ رحمه الله ـ إنه عقيدته ومعتقده.

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾، نزّه نفسه عما يصفه به أهل التعطيل وأهل التمثيل، ثم قال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١﴾ سلّم عليهم لسلامة ما قالوه في الله ﷻ لسلامته من العيب والنقص، فالمرسلون وصفوا الله بما وصف به نفسه؛ لذلك سلّم الله عليهم، وختم الآيات بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ له الثناء كله والحمد كله، لا يستحقه إلا هو ﷻ.

فهل بعد هذا البيان يظن أحدٌ أن الشيخ عنده شيء يخالف به أهل العلم كما يتهمه خصومه؟ الجواب: لا، فهذه عقيدته واضحة نقية مما يرمونه به من الشبهات.

* * *

والفرقة الناجية وسطٌ في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية.

لما ذكر الشيخ ﷺ في أول الرسالة أصول الإيمان، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشرّه، وبيَّن أنه على عقيدة السلف في أسماء الله وصفاته مخالفاً بذلك فرقتي المعطلة والمشبهة والممثلة، وقرّر هذا الأصل، الذي هو داخل في الإيمان بالله ﷻ؛ لأن الإيمان بالله يشمل: الإيمان بتوحيد الربوبية، والإيمان بتوحيد الألوهية، والإيمان بتوحيد الأسماء والصفات.

ثم ذكر فيه هذه الجملة ما يتعلق بالأصل الأخير وهو الإيمان بالقدر؛ لأن هذا وقع فيه خلافٌ وتفرُّق بين طوائف القدرية والجبرية.

أما القدرية فالمراد بهم: الذين ينفون القَدَر، وهم المعتزلة أتباع واصل بن عطاء، سموا بالمعتزلة لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري ﷺ، وكَوَّنوا لهم جماعة وتبنوا مذهباً في التوحيد يخالف مذهب أهل السنة والجماعة. وأيضاً في أصول الإيمان جعلوا لهم أصولاً غيرها، وهي الأصول الخمسة، وهي:

الأول: **التوحيد**، ويريدون به نفي الصفات، يسمون نفي الصفات توحيداً؛ لأن إثبات الصفات يقتضي تعدد الآلهة عندهم.

والثاني: **العدل**، ويريدون به نفي القضاء والقدر؛ لأنهم يقولون: إثبات القضاء والقدر يلزم عليه الجور والظلم في حق الله تعالى، حيث يعذّب عباده على شيء قدّره عليهم.

والثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويريدون به الخروج على ولاة الأمور، فالذي يخرج على الولاة، هذا هو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر عندهم.

والرابع: المنزلة بين المنزلتين، وهذه هي التي خالفوا واعتزلوا من أجلها مجلس الحسن، لما سُئل الحسن ﷺ عن حكم مرتكب الكبيرة، أجاب بما عليه أهل السنة والجماعة، قال: «**هو مؤمن ناقص الإيمان**»، فلا يُكَفّر كما تُكَفّره الخوارج، ولا يوصف بالإيمان الكامل؛ كما تقوله المرجئة، بل هو مؤمن ناقص الإيمان، فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

فلما أجاب الحسن بهذا الجواب، وكان واصل بن عطاء تلميذاً له، قال: أنا أقول: إنه لا مؤمن ولا كافر، بل هو في المنزلة بين المنزلتين، يخرج من الإيمان ولكنه لا يدخل في الكفر، فهو في المنزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، فإن مات ولم يتب فإنه يكون خالداً في النار؛ كما تقوله الخوارج، فأحدثوا القول بالمنزلة بين المنزلتين وعُرفوا بذلك[١].

والخامس: إنفاذ الوعيد، ويريدون به أن النار لا يخرج منها من دخلها، فأوجبوا خلود مرتكب الكبيرة من أهل القبلة في النار، وقالوا: من استحق العذاب لا يستحق الثواب.

ومحطّ البحث الآن في الأصل الثاني وهو العدل، وأما مرتكب الكبيرة فيأتي بعده مباشرة.

---

(١) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٤٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٤٦٤).

فالعدل: وهو نفي القدر عندهم، وهذا غلط فيه المعتزلة والجبرية، وهما على طرفي نقيض.

فالمعتزلة يقولون: إن العبد يستقل بفعله وليس لله فيه قضاء ولا قدر، وإنما العبد هو الذي يستقل بفعله، والأمر أُنُف ـ يعني مستأنف ـ لم يُقدّر ولم يُكتب في اللوح المحفوظ، وغلاتهم يقولون: ولم يعلمه الله قبل وقوعه. فينفون العلم، وهؤلاء كفّار بلا شك؛ لأنهم إذا نفوا العلم فهم كفار.

أما جمهورهم فيقولون: الله يعلمه ولكنه لم يقدّره، وإنما علم أنّ هذا سيقع لكنه بدون تقديره منه ﷻ.

وشيخ الإسلام ابن تيمية في «الواسطية» يقول[1]: إن الصنف الأول وهم الذين ينفون العلم انقرضوا. أو القائل به منهم قليل في وقت الشيخ، أما الآخرون فلا يزالون إلى الآن باقون يقولون: إنّ الله يعلمه لكن لم يقدّره، وإنما العبد هو الذي أحدثه بدون أن يقدّره الله عليه.

هؤلاء هم القدرية، سموا بالقدرية لأنهم ينفون القدر، فيغلون في إثبات أفعال العباد ويقولون: هم الذين يوجدونها بدون أن يقدّرها الله عليهم.

وأما الجبرية: فهم الجهمية ومن أخذ بقولهم، فهم على النقيض، يغلون في إثبات القدر والمشيئة وينفون أفعال العباد، ويقولون: العبد مجبور ليس له اختيار في أفعاله، وإنما يُحَرَّك كما تُحَرَّكُ الريشة في الهواء، أو هو كالميت بين يدي الغاسل يقلبه، ليس له اختيار. فهم

---

(١) انظر: «العقيدة الواسطية» (ص٣٦).

غلوا في إثبات القدر وإرادة الله ﷻ، ونفوا أفعال العباد، واعتبروهم مُجْبَرين على أفعالهم ليس لهم فيها اختيار ولا مشيئة، ولذلك سموا بالجبرية لأنهم يقولون بالجبر.

أهل السنة والجماعة توسطوا ـ كما هي عادتهم في كل أمور الدين هم وسط فيها ـ فأثبتوا أن للعبد فعلاً ومشيئة واختياراً، ولكنه لا يخرج بذلك عن مشيئة الله وإرادته، فأثبتوا للعبد مشيئة واختياراً وإرادة وأفعالاً، خلافاً للجبرية، ولكنه لا يخرج عن قضاء الله وقدره، خلافاً للقدرية، وهذا هو الذي تدلّ عليه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلولا أن للعبد مشيئة واختياراً وقدرة لما عذبه الله على أفعاله، فلو كان مُجْبَراً ـ كما تقوله الجبرية ـ لم يعذبه الله على أفعال ليس له فيها اختيار.

ومن أدلة أهل السنة والجماعة قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ دل على أن الإنسان يستقيم على طاعة الله بمشيئته لا يُجبر على ذلك، إما أن يستقيم وإما أن يعصي، فهو الذي يؤمن وهو الذي يكفر، وهو المؤمن، والكافر، والفاسق، والزاني، والسارق، والشارب، هو نفسه.

فأثبت للعبد مشيئة في قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾، ثم قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾، هذا ردٌّ على القدرية، فأول الآية رد على الجبرية، وآخرها ردٌّ على القدرية، فالآية فيها ردٌّ على الطائفتين.

وقوله: ﴿لِمَن شَآءَ﴾ هذا رد على الجبرية الذين ينفون مشيئة العبد وإرادته، وأنه يُحَرَّك بدون اختيار منه، وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ رد على القدرية الذين ينفون القدر ويغلون في إثبات مشيئة العبد،

ويقولون: إن العبد يشاء ولو لم يشأ الله ولو لم يُقدّر الله، هو يفعل ويشاء بابتداعه وإيجاده هو. ويعضهم يقول: الله لا يعلم أفعاله قبل أن تقع، وهؤلاء هم الغلاة، وبعضهم يقول: يعلمها لكنه لم يقدّرها. هذا هو ملخص البحث في هذه المسألة.

والقضاء والقدر ثابت في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

وفي السنة: حديث جبريل لما قال للرسول ﷺ: أخبرني عن الإيمان، قال: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه**»[(١)].

والإيمان بالقدر على أربع مراتب لا بد من الإيمان بها كلها:

المرتبة الأولى: الإيمان بأن الله ﷻ علم كل شيء بعلمه الأزلي الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً، وهذه المرتبة هي التي نفاها غلاة القدرية.

المرتبة الثانية: الإيمان بأن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شيء، لحديث: «**أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم، ثم قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما يكون وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة**»[(٢)]، والله ـ جلّ وعلا ـ يقول: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا

---

(١) سبق تخريجه (ص١٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، وأحمد في «المسند» (٣١٧/٥ رقم ٢٢٧٠٥، ٢٢٧٠٧) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ.

﴿فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ الكتاب هو اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ أي نخلقها ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢]، والكتابة «قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء»[١]، فالكتابة سابقة بأزمان على خَلق السماوات والأرض.

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة والإرادة، فكل شيء يقع فهو بمشيئة الله وإرادته، وفي هذا ردٌّ على القدرية، فلا يكون في مُلكه ﷻ ما لا يشاؤه ولا يريده ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، فكل شيء يحدث فقد شاءه الله وأراده بعد ما علمه وكتبه في اللوح المحفوظ.

المرتبة الرابعة: مرتبة الإيجاد والخلق، عَلِمَه وكَتَبَه وشَاءَهُ وخَلَقَهُ ﷻ.

لا بد أن تؤمن بهذه المراتب كلها وإلا لم تكن مؤمناً بالقضاء والقدر.

قوله: «والفرقة الناجية»، سُميت ناجية؛ لأنها ناجية من النار، بخلاف بقية الفرق فإنها في النار؛ كما قال ﷺ: «وستفترق هذه الأُمَّة على ثلاثٍ وسبعينَ فرقة كلّها في النار إلا واحدةً»[٢]، هذه الواحدة هي الناجية من النار، وهذه الفرق في النار وهي تتفاوت، منها ما هو في النار لكفره، يُخلّد فيها، ومنها ما هو في النار لمعصيته ولا يُخلد فيها، فلا يلزم من هذا أن هذه الفرق كلها كافرة، بل هي متفاوتة؛ لأن الخلاف يتفاوت.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٢) سبق تخريجه (ص١٥).

وقوله: «وسطٌ في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية»، الجبرية: هم أتباع الجهم بن صفوان، الذي يقول بالجبر، ويقول بالإرجاء، ويقول بالتجهم.

ولهذا يقول ابن القيم في «النونية»[1]:

جِيمٌ وجِيمٌ ثُمّ جِيمٌ معهما   مَقْرُونَةٌ مَع أحْرُفٍ بِوِزَانِ

يعني جمع بين ثلاث جيمات، والرابعة جيم جهنم والعياذ بالله.

* * *

(١) انظر: «شرح النونية» لأحمد بن عيسى (٢/ ١١٤).

وهُمْ في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية.

هذه مسألة الكفر والإيمان لأصحاب الكبائر من أهل الإيمان، من حصل منه كبيرة دون الشرك؛ كالزنا والسرقة وشرب الخمر، وغير ذلك من الكبائر التي هي دون الشرك.

الخوارج كفّروه، وقالوا: يخرج من الإسلام إلى الكفر ـ والعياذ بالله ـ ويستدلون بآيات من القرآن، آيات متشابهة لا يردُّونها إلى الآيات المحكمة، مثل قوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]. استدلوا بهذا على أن كل من عصى الله فهو في نار جهنم خالداً فيها أبداً، وأنه كافر، فيُكَفِّرُون السارق والزاني وشارب الخمر، كل مرتكب كبيرة يكفرونه، ويخرجونه من الإسلام، ويخلّدونه في النار إذا مات ولم يتب.

هذا مذهب الوعيدية، لماذا سموا بالوعيدية؟ لأنهم أخذوا بآيات الوعيد وتركوا آيات الوعد التي فيها وعد الله بالمغفرة والتوبة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فالله أخبر أنه لا يغفر للمشرك الشرك الأكبر، وأنه يغفر ما دون الشرك، ويدخل في ذلك جميع المعاصي، هذا وعد من الله ـ جلّ وعلا ـ.

وهذا أخذ به المرجئة الذين يقولون: إن صاحب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، فقالوا: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وسُمُّوا مرجئة؛ لأنهم أرجؤوا؛ أي أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، وقالوا: الإيمان هو التصديق بالقلب.

وهم مع هذا أربع طوائف:

الأولى: مرجئة الفقهاء، من الكوفيين والأحناف الذين يقولون:

إن الإيمان هو قول باللسان واعتقاد بالقلب. ولا يدخلون فيه العمل.

الثانية: الأشاعرة ومن أخذ بمذهبهم، فيقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب ولو لم ينطق بلسانه، فمن صدّق بقلبه فهو مؤمن حتى ولو لم يتكلم. وعلى هذا فالكفار مؤمنون؛ لأنهم يصدّقون بقلوبهم لكن لا ينطقون بألسنتهم، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣]. هم يصدقون بقلوبهم ويعلمون أنه رسول الله، وأن القرآن كلام الله، وأن ما جاء به هو الحق، لكن يمنعهم ـ والعياذ بالله ـ موانع: إما الكبر والأنفة، أو الخوف على مناصبهم ورئاستهم، أو الحسد.

واليهود يعرفونه، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾، يعني: محمداً ﷺ ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، يعرفون أنه رسول الله، ولكن لم يطيعوه ولم يؤمنوا برسالته ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، تركوه حسداً، يريدون أن تكون النبوة في بني إسرائيل ولا تكون النبوة في بني إسماعيل، حسدوا بني إسماعيل فأبوا أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، فهم يؤمنون بقلوبهم أنه رسول الله. فهذا ردٌّ على الأشاعرة الذين يقولون: إن الإيمان هو التصديق بالقلب ولو لم ينطق باللسان.

الثالثة: الكرّامية، الذين يقولون: الإيمان هو النطق باللسان ولو لم يعتقد بقلبه، إذا نطق بلسانه وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولو لم يعتقد بقلبه فهو مؤمن، كذلك يقولون. وهذا باطل يلزم عليه أن المنافقين مؤمنون؛ لأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، والله ـ جلّ وعلا ـ يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥]، فهم يقولون بألسنتهم

ولكن لا يعتقدون بقلوبهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١، ٢]، شهادتهم للرسول جُنَّةٌ يتسترون بها دون القتل، يريدون أن يعيشوا مع المسلمين وهم كفار في قرارة أنفسهم وقلوبهم، حكم الله أنهم في الدرك الأسفل من النار تحت عبدة الأصنام. والكرامية يقولون: إنهم مسلمون ومؤمنون!!

الرابعة: أخبث فرق المرجئة وهم الجهمية الذين يقولون: إن الإيمان هو المعرفة بالقلب ولو لم يصدق، إذا عرف بقلبه فهو مؤمن ولو لم يصدق، ولو لم ينطق، ولو لم يعمل، ما دام أنه عارف بقَلبه فهو مؤمن. وهذا القول أخبث مذاهب المرجئة.

فتبين من هذا معنى الإرجاء، وأنه تأخير العمل عن الإيمان، وأن العمل لا يدخل في الإيمان، وأن الإنسان يكون مؤمناً ولو لم يعمل، ولو لم يُصَلِّ، ولم يَصُمْ، ولم يحج، ولم يعمل أي شيء، لو فعل ما فعل من المعاصي ومن الموبقات فهو مؤمن، والمعاصي لا تُنقص إيمانه، لو زنى وسرق فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم، ما دام إنه مصدّق بقلبه.

والإيمان لا يتفاضل عندهم ولا يتفاوت، فإيمان أبي بكر أو جبريل مثل إيمان أفسق الناس عندهم.

والحق أن الإيمان يتفاوت: فالمؤمنون منهم من إيمانه كامل، ومنهم من إيمانه ناقص نقصاً كثيراً أو قليلاً، فالإيمان يتفاوت، ويزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والعمل داخل في حقيقة الإيمان، ومن ترك العمل تركاً نهائياً بدون عذر ولم يعمل أبداً فليس بمؤمن، أما إذا ترك بعض الأشياء وفعل بعض الأشياء فإنه مؤمناً ناقص الإيمان.

أهل السنة والجماعة قالوا: مرتكب الكبيرة التي دون الشرك مؤمن ولكنه ناقص الإيمان، أو هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وإذا مات فهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفر له وإن شاء عذّبه، لكنه لا يُخلّد في النار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وفي الحديث: «انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار»[١]، وقال ﷺ: «وذلك أضعف الإيمان»[٢].

فالإيمان يكون قوياً ويكون ضعيفاً، ومن فيه إيمان فإنه لا يُكفّر، ولو فعل بعض المعاصي فلا يُكفر لكنه ينقص إيمانه، فلا يُعطى اسم الإيمان الكامل ولا يُسلب اسم الإيمان بالكلية جمعاً بين النصوص.

لهذا يقول الشيخ تقي الدين[٣] كَلَلهُ: «فلا يُعطى الإيمان المطلق ولا يُسلب مطلق الإيمان».

لا يُعطى الإيمان المطلق الكامل كما تقوله المرجئة، ولا يُسلب مُطلق الإيمان كما تقوله الخوارج والوعيدية، بل يُعطى بقدر ما عنده.

وهذا مذهب الحق والاعتدال والجمع بين النصوص، فالمعاصي تُنقص الإيمان وتُضعفه ـ رداً على المرجئة ـ لكنها لا تُخرج صاحبها من الإيمان، رداً على الخوارج والوعيدية.

والمعتزلة أحدثوا ـ كما مر بنا ـ المنزلة بين المنزلتين، وقالوا: ليس بمؤمن ولا كافر. وقولهم باطل؛ لأنه لا يوجد أحد ليس بمؤمن

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) واللفظ له، من حديث أنس ﷺ.
(٢) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.
(٣) في «العقيدة الواسطية» (ص٤٠) بنحوه.

وليس بكافر، إما أن يكون مؤمناً، وإما أن يكون كافراً، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، إما كافر وإما مؤمن، والمؤمن إما مؤمن كامل الإيمان، وإما مؤمن ناقص الإيمان.

قوله: «وهم في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية»، المرجئة مَرَّ بنا تعريفهم[1]، وهم الذين يقولون: إن العمل لا يدخل في حقيقة الإيمان. والوعيدية هم الذين ينفذون نصوص الوعيد، ويحكمون على مرتكب الكبيرة بالكفر والخروج من الإسلام.

هذا مذهب الخوارج - والعياذ بالله - ولهم ورثة الآن من المتعالمين والجهال الذين لا يحسنون الاستدلال، ولا يفقهون الأدلة ولا يراجعون عقيدة السلف، فيأخذون النصوص ويتلاعبون بها، ويحكمون على الناس بالكفر والخروج من الدين، ثم يحملون عليهم السلاح؛ كما فعل ذلك أسلافهم من الحرورية، نسأل الله العافية.

* * *

---

(١) راجع (ص٣٥).

وهُمْ وسطٌ في باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وهُمْ وسطٌ في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج.

قوله: «الحرورية والمعتزلة»، الحرورية هم الخوارج، سُمّوا بالحرورية؛ لأنهم اجتمعوا في مكان في العراق يقال له: حروراء، اجتمعوا فيه لحرب المسلمين، فسُمّوا بالحرورية، وكل من اعتقد مذهبهم يقال له: حروري؛ لأنه على مذهب الحرورية، والمعتزلة: أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري.

وأهل السنة وسط في جميع أمور الدين ـ ولله الحمد ـ بين الإفراط والتفريط، وبين الغلو والتساهل؛ كما قال الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، والوسط هو: العدل الخيار، المتوسطة بين طرفين: طرف الإفراط وهو الغلو، وطرف التفريط وهو التساهل، فالإفراط أخذ به الخوارج، والتفريط أخذ به المرجئة، وأهل السنة وسط ـ ولله الحمد ـ بين هذا وهذا.

قوله: «في باب أصحاب رسول الله ﷺ»، الصحابة: جمع صحابي، والصحابي هو: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك.

فقولهم: «من لقي النبي ﷺ» يخرج به من آمن بالنبي ولم يلقه، هذا لا يسمى صحابياً، مثل النجاشي رحمه الله فإنه آمن بالنبي ﷺ ولكنه لم يلقه، فلا يقال: إنه صحابي، ولما مات نعاه النبي ﷺ إلى أصحابه وخرج بهم وصلى عليه صلاة الغائب[1].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (١٢٤٥)، و«صحيح مسلم» (٩٥١).

«من لقي النبي ﷺ مؤمناً به»، يخرج بذلك من لقي النبي ولم يؤمن به، فإن الكفار لقوا النبي ﷺ، لقوه ورأوه واجتمعوا به.

«ومات على ذلك» يخرج بذلك من لقي النبي ﷺ وآمن به وصار صحابياً ثم ارتد، فإنه تبطل صحبته وتبطل جميع أعماله من الصحبة وغيرها إذا مات على الردة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧]، أما لو تاب تاب الله عليه وعادت إليه الصحبة، وجميع الأعمال التي فعلها قبل الردة على الصحيح؛ لأن الله قال: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾، فدل على أن الذي يتوب ولا يموت على الكفر أنه لا تحبط أعماله؛ لأن الله شرط لحبوط الأعمال شرطين:

الأول: أن يرتد.

الثاني: أن يموت وهو كافر.

فهذا هو الذي يحبط عمله من الصحبة وغيرها.

والواجب على المسلمين في حقّ الصحابة: محبتهم والاقتداء بهم والثناء عليهم وإكرامهم؛ لأنهم صحابة رسول الله ﷺ الذين جاهدوا معه، وتلقوا العلم عنه، وبلّغوه للأمة، رضي الله عنهم وأرضاهم، والله ـ جلّ وعلا ـ، يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ اتبعوهم: اقتدوا بهم وساروا على نهجهم، ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ لا يتبعون الصحابة دون معرفة لمذهبهم، هذا اتباع بغير إحسان، والإحسان معناه: الإتقان، والإتقان لا يكون إلا بمعرفة الشيء وفقهه،

فما كل من انتسب إلى الصحابة وقال: أنا على مذهب السلف، يكون كذلك حتى يكون محسناً، يعني متقناً لهذا الاقتداء، وهذا لا يحصل إلا بالتعلّم، لا يحصل بمجرد الانتساب أو بمجرد الرغبة في الخير أو المحبة للخير، لا بد أن تعرف ما عليه الصحابة معرفة تامة ثم تتابعهم عليه، أما مجرد الانتساب من غير تحقيق فلا ينفع.

فقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، أي لم يغلوا ولم يتساهلوا في متابعة الصحابة ﵃، هذا هو الإحسان، يكون بين الغلو وبين التساهل.

وقال ﷻ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ هذه صفات الصحابة ﵃ ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ يعني صفتهم ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ [الفتح: ٢٩].

الصحابة أول ما بدأ الإسلام كانوا أفراداً قليلين، سُئل النبي ﷺ وهو في مكة: من معك على هذا الأمر؟ قال: **«حرٌّ وعبد»**[(١)]، حرّ: وهو أبو بكر، وعبد: وهو بلال. هذا أول ما بدأ الإسلام لم يكن معه ﷺ إلا قليل كما قال ﷺ: **«بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»**[(٢)]، بدأ الإسلام على هذا المبدأ ثم تكاثر الصحابة حتى بلغوا مبلغ الكمال.

---

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢) من حديث عمرو بن عبسة السلمي ﵁.
(٢) أخرجه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة ﵁.

وقوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ يعني فراخه، فالحبة الواحدة أول ما تظهر تكون قصبة واحدة، ثم تُفرخ ويصير بجانبها فراخها، الصحابة كذلك أول ما نشؤوا كانوا قلة، ثم تكاثروا مثلما يتكاثر الزرع بالفراخ ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾ يعني قوّاه وأيّده ﴿فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ ارتفع على قصبه ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ من حسنه، هذه صفة الصحابة ﷺ.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ ليغيظ بالصحابة الكفار، فالذين يغتاظون من الصحابة ويبغضونهم هم الكفار والمنافقون. واستدل أهل العلم بهذه الآية على أن من يبغض الصحابة فإنه كافر؛ لأن الله قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾، وقال ﷻ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر: ٨]، وصفهم بأنهم بهذه الأوصاف العظيمة، ثم قال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾، ثم قال في الأنصار: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

هذه في صفة الأنصار، الآية الأولى في المهاجرين وهذه في الأنصار، ثم قال في التابعين: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وهذا يشمل من جاء من بعدهم إلى يوم القيامة: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ يعني: بغضاً ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

هذه صفة أمة محمد ﷺ من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم القيامة.

فالواجب للصحابة محبتهم، والثناء عليهم، واتّباعهم، والاقتداء بهم، وعدم الخوض فيما جرى بينهم في أيام الفتنة، لا تدخل في هذا أبداً أيها المؤمن، ولا تخض فيه، ولا تخطّئ بعضهم وتُصوّب بعضهم؛ لأنهم مجتهدون ﷺ يريدون الحق، فعليك أن تمسك لسانك ولا تتكلم فيهم، ويجب أن تحفظ فيهم وصية الله ـ جلّ وعلا ـ ووصية رسوله، قال ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه»**[(١)]، وقال عليه الصلاة والسلام: **«الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي»**[(٢)]، وحب الصحابة من حب الرسول ﷺ، فمن أحبّ الصحابة فقد أحبّ الرسول ﷺ، ومن أبغض الصحابة فقد أبغض الرسول ﷺ، فهذا الواجب لصحابة رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهم أجمعين.

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة مع صحابة رسول الله ﷺ.

والذين ضلّوا في هذا على فريقين:

- فريق النواصب.
- وفريق الروافض.

فالروافض يكفّرون الصحابة ولا يستثنون إلا أربعة من الصحابة هم: علي، وأبو ذر، وسلمان، والمقداد بن الأسود، ويغلون في علي رضي الله عنه ويقولون: إن علياً هو الوصي بعد رسول الله ﷺ، وأن خلافة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٦٢)، وأحمد (٥/ ٥٤ رقم ٢٠٥٤٩) من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه.

أبي بكر باطلة وظلم واغتصاب، وخلافة عمر وعثمان كلها ظلم واغتصاب؛ لأن الخلافة لعلي.

أما النواصب فيبغضون علياً ﷺ ويتكلمون فيه وفي أولاده.

والخوارج كفّروا الصحابة جميعاً.

وأهل السنة والجماعة يتولون جميع صحابة النبي ﷺ، أهل بيت الرسول وغيرهم، يتولونهم جميعاً ولا يفرقون بينهم، نعم بعضهم أفضل من بعض، فالخلفاء الراشدون وبقية العشرة المبشرين بالجنة أفضل من غيرهم من الصحابة، وأهل بدر أفضل من غيرهم، وأهل بيعة الرضوان، والمهاجرون أفضل من الأنصار، لكن التفضيل لا يقتضي انتقاص المفضول أو الكلام فيه، كلهم لهم فضل الصحبة لرسول الله ﷺ.

فأهل السنة وسطٌ في صحابة رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج والنواصب، يتولون الجميع، ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ، ويوقرونهم، لكنهم لا يغلون فيهم؛ كغلوّ الرافضة حتى قالوا: إن الخلافة لعلي ولذريته، وأن الصحابة اغتصبوها وظلموهم، ويلعنون أبا بكر وعمر ويسمونهم. صنمي قريش، ـ قبحهم الله ـ وكل آية فيها ظلم وكل آية فيها كفر ينزلونها على الصحابة.

قوله: «وهم وسط في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض والخوارج»، بين الروافض والخوارج، والنواصب أيضاً، الخوارج كفّروا علياً وعثمان وكثيراً من الصحابة، بينما الروافض على العكس غلوا في علي ﷺ واعتقدوا أنه الخليفة بعد رسول الله ﷺ وأنه هو الوصي، وأن الصحابة ظلمة اغتصبوا حقه.

والخوارج كفّروا علياً والصحابة، بينما الروافض بالعكس غلوا في علي، حتى إن غلاتهم يقولون: هو الله، والذين دون الغلاة لا يقولون

إنه هو الله، لكن يكفرون الصحابة ويصفونهم بالظلم والطغيان، ويلعنونهم ويشتمونهم، فهم على طرفي نقيض.

أهل السنة والجماعة ـ كما ذكرنا ـ تولوا جميع الصحابة وعرفوا قدر أهل البيت، ولم يفرقوا بين أحد منهم عملاً بوصية رسول الله ﷺ.

هذا هو المذهب في الصحابة ﷺ، وهم أفضل الأمة، قال ﷺ: «**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[1]، فهم خير القرون، وهم أفضل الأمة، وهم الذين أوصى بهم الله ـ جلَّ وعلا ـ وأوصى بهم الرسول ﷺ، وهم الذين نشروا الإسلام لما تحملوه عن الرسول ﷺ وبلّغوه للأمة، من أين وصلنا هذا الإسلام إلا عن طريق الصحابة ﷺ، هم الواسطة بيننا وبين الرسول ﷺ، فالأحاديث كلها رواتها من الصحابة رووها عن الرسول ﷺ.

الحاصل: أن هذه عقيدة الشيخ ﷺ عقيدة أهل السنّة والجماعة، والذين يقولون: إن الشيخ خارجي، وأنه يُكفِّر. فقد كذبوا عليه.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين ﷺ.

وأعتقد أن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق.

لما كان من أصول وأركان الإيمان: الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على رسله لأجل هداية العباد، والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، وإقامة الحجة عليهم؛ كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى لنبينا محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: ١٠٥]، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فلمّا كان القرآن المنزل على رسوله ﷺ كلام الله؛ كغيره من الكتب الإلهية، وأن الإيمان بذلك ركن من أركان الإيمان الستة، وهذا أمر لم يختلف عليه المسلمون ـ ولله الحمد ـ ولكن نبتت نابتة بعد انقضاء القرون المفضلة على يد الجعد بن درهم الذي تلقى عقيدته عن اليهود، تقول: إن القرآن مخلوق؛ لأن الله لا يتكلم ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ وإنما إضافة الكلام إليه إضافة مجازية؛ لأنه خلق الكلام في غيره، فخلقه الله في اللوح المحفوظ، أو في جبريل، أو في محمد ﷺ.

ويا سبحان الله!! كيف يُضاف الكلام إلى غير من تكلم به؟ العقول لا تقر هذا. فهذا محال في العقول، وغرضهم من ذلك أن يبطلوا الاحتجاج بالقرآن، وأن يقولوا: ليس عند الناس كلام الله ﷻ، القرآن الذي هو أول الأدلة، فأول الأدلة: القرآن ثم السنة، ثم الإجماع،

ثم القياس، فإذا قيل: إنه ليس لله كلام بين الناس، بماذا يستدل الناس؟ إذا أبطلوا الأصل الأول بطلت بقية الأصول وبهذا يُقضى على الإسلام بهذه الطريقة، وشبهتهم يقولون: ننزه الله من أنه يتكلم؛ لأنه لو وصفناه بأنه يتكلم شبهناه بالخلق، فنحن ننزه الله عن ذلك. فجاؤوا من طريق تنزيهه بزعمهم، وفي الحقيقة أنهم فرّوا من التشبيه الذي زعموه إلى تشبيه أقبح، فإذا نفوا عنه الكلام لئلا يُشَبّه بالمتكلمين من الخلق، فقد شَبّهوه بالجمادات التي لا تنطق، وهذا نقص أعظم.

ولذلك حكم أئمة أهل السنة بكفر الجهمية، قال الإمام ابن القيم(١):

ولقدْ تَقَلَّد كفرهم خمسون في ... عَشْرٍ مِن العلماءِ في البُلدان

خمسون في عشرة يعني خمسمائة عالم حكموا بكفر الجهمية؛ لأنهم نفوا كلام الله سبحانه. ولذلك خالد بن عبد الله القسري قتل الجعد بن الدرهم لأجل هذه المسألة، في يوم عيد الأضحى فقال: «أيها الناس ضَحّوا تقبلّ الله ضحاياكم، فإني مضحّ بالجعد بن درهم؛ فإنه زعم أن الله لم يُكلّم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً». ثم نزل وذبحه تحت المنبر في مشهد من العلماء والمسلمين، وشكروه على ذلك(٢).

ولهذا قال الإمام ابن القيم(٣):

ولأجْلِ ذا ضَحّى بجعدٍ خالدُ الـ ... قَسْريُّ يومَ ذبائحِ القُرْبَان

إذ قالَ إبراهيمُ ليسَ خليلَه ... كَلّا ولا موسى الكليمَ الدّاني

---

(١) انظر: «النونية» مع شرحها، لأحمد بن عيسى (١/ ٢٩٠).

(٢) انظر: «منهاج السنّة النبوية» (١/ ٣٠٩).

(٣) انظر: «النونية» مع شرحها، لأحمد بن عيسى (١/ ٥٠).

شَكَرَ الضحيّة كُلُّ صاحِبِ سنّةٍ ... لـلّـهِ دَرُّكَ مِـنْ أَخِـي قُـرْبَـان

ولما قُتل الجعد بن درهم جاء من بعده الجهم بن صفوان، فتبنى مقالته الخبيثة، فقتله الأمير سَلْمُ بن أَحْوَز[١]، وهكذا كان ولاة أمور المسلمين، يقتلون الزنادقة حماية للعقيدة، فقد قال ﷺ: «**من بدّل دينه فاقتلوه**»[٢]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يحلّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيّب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[٣]. فكانوا يقتلون الزنادقة ويريحون المسلمين من شرّهم حماية للعقيدة التي هي الضرورية الأولى من الضروريات الخمس التي تجب المحافظة عليه.

فهذا أصل منشأ هذه المقالة الخبيثة، ثم ورثها عنه المعتزلة، والجعفرية من الشيعة يقولون بهذه المقالة؛ لأنهم تتلمذوا على المعتزلة فأخذوها عنهم، والشيعة الزيدية والإباضية يرون هذا الرأي ويعتقدون أن القرآن مخلوق، وأنه ليس كلام الله، كل هذا ورثوه عن الجهمية، وهذا مدون في عقائدهم التي يدرسونها الآن.

جاءت الأشاعرة فأتوا بقول غريب في هذه المسألة، لا هو مع الجهمية، ولا هو مع أهل السنة، فقالوا: الكلام هو المعنى القائم بالنفس الإلهية، وأما هذا القرآن والكلام الذي نزل على الرسل فإنما هو عبارة أو حكاية عن كلام الله، فهو ـ أي القرآن الذي معنا ـ مخلوق؛ لأنه عبّر به محمد أو جبريل عن كلام الله، والله لا يتكلم،

---

(١) انظر: «بيان تلبيس الجهمية» لابن تيمية (١/ ٢٧٧) و«شرح العقيدة الطحاوية» (ص٥٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٧، ٦٩٢٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وإنما كلامه معنى قائم بنفسه يُعبّر عنه الرسول. فهم جمعوا متناقضات لم يقل بها أحد غيرهم، فجعلوا القرآن بعضه غير مخلوق وهو المعنى النفسي، وألفاظه مخلوقة، فهذا القرآن الذي معنا الآن ليس هو كلام الله، إنما هو كلام محمد، أو جبريل، وهو مخلوق، أو أن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ، فهو ليس كلام الله، وإنما هو حكاية عن كلام الله، أو عبارة عن كلام الله، «عبارة» هذا قول الأشاعرة، و«حكاية» هذا قول الماتريدية، وكلهم يقولون: هو ليس كلام الله؛ لأن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس فقط، فالقرآن بعضه إلٰهي وبعضه بشري، مثل مقالة النصارى في عيسى: اتحد اللاهوت بالناسوت، فعيسى بعضه من الله، وبعضه مخلوق، فكذلك قول الأشاعرة يُشبه قول النصارى في المسيح، بعضه مخلوق، وبعضه غير مخلوق، تناقضات والعياذ بالله.

أما من التزم بالحق فهو ـ ولله الحمد ـ على بينة وعلى بصيرة، وأهل السنة والجماعة ما زالوا يقولون: القرآن كلام الله منزّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. وامتُحن أهل السنة من المعتزلة على يد المأمون في هذه المسألة، وعُذّب الإمام أحمد عند هذه المسألة، المأمون يريد أن يُلزم الناس بعقيدة المعتزلة في القرآن وأنه مخلوق، وأهل السنة أبوْا ورفضوا، وفي مقدمتهم الإمام أحمد ﷺ، أبوْا أن يقولوا وأن يخضعوا لهذه المقالة الخبيثة، فثبتهم الله على الإيمان، وخذل الله المعتزلة ومن نحا نحوهم، ولم يحصلوا على طائل إلا الفضيحة والنكسة والعياذ بالله.

ومع الأسف أن بعض الكُتّاب يقولون: مسألة القول بخلق القرآن أو عدم خلقه مسألة لا طائل تحتها، ولا تحتاج إلى انقسام، والإمام أحمد

مخطئ عندما امتنع، أو هذه أمور سياسية، هم عذّبوا الإمام أحمد ليس من أجل موقفه من القول بخلق القرآن، بل عذّبوه؛ لأنهم يخافون أن يقلب الناس عليهم، فهي مسألة سياسية. هكذا يقول هؤلاء الكُتّاب الجهّال أو المغرضون، ويقولون: مسألة القول بخلق القرآن لا تستحق كل هذا.

هكذا يقولون؛ لأنهم إما جهّال لم يدركوا الخطر، وإما أنهم مغرضون معتزلة ويريدون أن تمر هذه المسألة على الناس، ويُقال: لا تستحق كل هذه الجلبة، هذا موجود الآن في كتاباتهم في الصحف وفي المؤلفات.

فالحاصل: أني نبهت على هذا لئلا يغتر أحد بكتابات هؤلاء، ويقول: المسألة سهلة، والمسألة لا تحتاج إلى كل هذه الردود. بل المسألة خطيرة جداً، فإذا نفينا أن القرآن كلام الله، إذاً ماذا يبقى معنا؟ وبالتالي تبطل الشريعة، إذا هُدم الدليل الأول لها والمصدر الأول بها بطلت الشريعة، وهذا غرض المؤسسين لهذه المقالة الخبيثة، وإن كان كثيرٌ من أتباعهم لا يُدركون هذا الغرض، ولكن هذا هو المقصود، يكفي أن هذه المقالة جاءت من اليهود على يد الجعد بن درهم الذي تلقاها عن اليهود.

وقوله: «واعتقد أن القرآن كلام الله مُنزّل» منزّلٌ؛ كما يقوله أهل السنة والجماعة **«غير مخلوق»**؛ كما تقوله الجهمية ومن سار في ركابهم، هذه عقيدة يجب على المسلم أن يعتقدها، ولا يقول: هذه مسألة شكلية.

* * *

منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلّم به حقيقة.

قوله: «منه بدا» يعني: نزل من الله ـ جلّ وعلا ـ حيث تكلّم الله به حقيقة، وسمعه منه جبريل، ونزل به إلى محمد ﷺ، وبلّغه محمد ﷺ لأمته، فهو كلام الله حقيقة لا مجازاً. وأما قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٩، ٢٠] يعني: جبريل عليه السلام، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤٠، ٤١]، يعني: محمداً ﷺ. أضافه إلى الرسول البشري تارة، وإلى الرسول الملكي تارة، وأضافه إلى نفسه ﷻ تارة.

فيُقال: الكلام إنما يُضاف إلى من قاله مبتدئاً، وأما إضافته إلى جبريل أو إلى محمد فهي إضافة تبليغ، ولا يمكن للقول الواحد أن يقوله عدة قائلين أبداً، فدلّ على أنه كلام الله، ولكن أضافه إلى جبريل وإلى محمد في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ إضافة تبليغ، والكلام إنما يُضاف إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلّغاً مؤدّياً.

فهذا هو الجواب عن هذه الشبهة التي يتعلّقون بها.

قوله: «وإليه يعود»، إشارة إلى ما يكون في آخر الزمان حينما يُرفع القرآن، ويؤخذ من صدور الرجال ومن المصاحف، ولا يبقى له أثر، وذلك من علامات الساعة، فكما أنه نزل منه فإنه يُرفع في آخر الزمان ويعود إليه ﷻ، ولا يبقى في الأرض قرآن[1].

قوله: «تكلّم به حقيقة»، هذا ردٌّ على الذين يقولون: إنه تكلم به

---

(١) انظر: «سنن سعيد بن منصور» (٢/ ٣٣٥ رقم ٩٧).

مجازاً، فإضافته إلى الله من باب المجاز؛ لأنه هو الذي خلقه فيُضاف إليه مجازاً.

وليس هو المعنى القائم في نفسه كما تقوله الأشاعرة، وليس هو مخلوقاً كما تقوله الجهمية، وإنما تكلم اللّٰه به حقيقة وسمعه منه جبريل وتحمله عن الله ـ جلّ وعلا ـ وبلّغه لنبيه محمد ﷺ، فالقرآن عن محمد عن جبريل عن الله ـ جلّ وعلا ـ، هذا سند القرآن؛ كما قال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ هذا كله في جبريل.

ثم قال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ يعني: محمداً: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ كما تقوله الكفار، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ أي: رأى جبريل ﷺ على صورته الحقيقة الملكية ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ رأى جبريل وهو في الأفق على صورته في بطحاء مكة، ورآه مرة أخرى ليلة المعراج عند سدرة المنتهى، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: ١٣]، أي: رأى جبريل عند سدرة المنتهى ليلة المعراج، فالنبي ﷺ رأى جبريل على خلقته الملكية مرتين[١]، وفيما عدا ذلك يأتي إليه بصورة إنسان، ويراه الصحابة على صورة إنسان، ويظنون أنه من البشر، وأنه وافد إلى الرسول ﷺ[٢].

* * *

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٣٢٣٥)، و«صحيح مسلم» (١٧٧).

(٢) انظر: «صحيح مسلم» (٨).

وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد ﷺ.

قوله: «وأنزله على عبده ورسوله»، هو محمد ﷺ عبده ورسوله، **«عبده»** هذا رد على الذين يغلون في محمد ﷺ ويجعلون له شيئاً من الإلهية، فهو عبد وليس معبوداً، و**«رسوله»** هذا رد على الذين ينكرون رسالة محمد ﷺ، فهم على طرفي نقيض، طائفة غلت فيه ورفعته إلى مقام الألوهية، وطائفة فرّطت في حقه وجحدت رسالته، فنحن نقر بالأمرين: أنه عبد وأنه رسول.

قوله: «وأمينه على وحيه»، الرسول أمين، لم يزد في القرآن ولم ينقص، بل بلّغه كما جاءه عن الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ [الحاقة: ٤٤، ٤٥]، لو تقوّل محمد ﷺ على الله ونسب إليه ما لم يقل لأهلكه الله ﷻ، فهذا فيه تزكية للرسول ﷺ وأنه بَلَّغ البلاغَ المبين، فهو مُبَلِّغ عن الله ﷻ أمين على الوحي؛ ولهذا لما قَسَّم الصدقة، وتكلم من تكلم من المنافقين، قال ﷺ: **«ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء»**(١)، ألا تأمنوني على قَسْم الصدقات، وأنا أمين من في السماء ـ وهو الله ـ على الوحي.

قوله: «وسفيره بينه وبين عباده»، السفير: هو الرسول، فالرسول سفير بين الله وبين عباده لتبليغ الرسالة، أرسله الله ﷻ ليُبلّغ رسالات الله ﷻ.

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وأؤمن بأن الله فعّال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره.

انتهى الشيخ ﷺ من مسألة الكلام، وبيّن عقيدته فيها، وأنها عقيدة أهل السنة والجماعة، وأنه يتبرأ من عقيدة الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين خاضوا في كلام الله، وقالوا مقالات شنيعة، ومن مقالة الكفار الذين قالوا: إن محمداً هو الذي اخترع هذا القرآن، وجاء به ونسبه إلى الله ﷻ، هذه مقالة الكفار؛ ولهذا يقول الوليد بن المغيرة: إن هذا إلا قول البشر[1]، قال تعالى مخبراً عنه: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝٢٥﴾ [المدثر: ١٨ ـ ٢٥]، يعني: أن القرآن قول محمد ولم يقله الله جلّ وعلا.

فالجهمية شابهوا الكفار في هذا وقالوا: إن القرآن ليس كلام الله، وإنما هو قول محمد.

قال ﷺ بعد ذلك: **«وأؤمن بان الله فعّال لما يريد»**، وهذه مسألة أخرى، وهي الإيمان بأفعال الله ـ جلّ وعلا ـ له أسماء، وله صفات، وله أفعال، وله إرادة ومشيئة، **«فعّال لما يريد»**، يخلق ويرزق ويُحيي ويميت ويدبّر، هذه أفعال الله ـ جلّ وعلا ـ، وهي بإرادته ومشيئته ﷻ، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]،

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/٤٤٣).

﴿وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، يفعل ما يشاء، ويفعل ما يريد.

وقوله: «ولا يكون شيء إلا بإرادته»، ما يكون في هذا الكون فهو من خلقه وإيجاده ﷻ وبمشيئته وإرادته، لا يكون في هذا الكون شيء بغير إرادته، أو بغير خلقه، أو أن أحداً يخلق مع الله ـ جلّ وعلا ـ.

هذا ردٌّ على المعتزلة الذين يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه، وإن الله لم يخلق أفعال العباد، وإنما هم الذين خلقوها مستقلّين عن الله ـ جلّ وعلا ـ، وليس لله فيها إرادة ولا مشيئة.

فنحن نؤمن بأن أفعال العباد هي خلق الله، وهي كسب العباد، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات: ٩٦]، أي: وخلق ما تعملون.

قوله: «ولا يخرج شيء عن مشيئته»، في هذا الكون، لا يمكن يحدث شيء من كفر أو إيمان أو طاعة أو معصية أو غنى أو فقر أو حياة أو موت أو رِزْقٍ إلا بمشيئته ﷻ، مشيئته شاملة وإرادته شاملة، وكل شيء بإرادته ومشيئته، لا كما تقوله المعتزلة: إن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم استقلالاً وليس لله فيها أي تدخل، لكونهم هم الذين يخلقون أفعالهم. فيصفون الله ـ جلّ وعلا ـ بالعجز، ويعطلونه عن الخلق والفعل ويجعلونه معه خالقاً غيره، وعلى نقيضهم الجبرية الذين يقولون: إن العباد ليس لهم أفعال، إنما هي أفعال الله يحرّكهم فيها كما تُحرّك الآلة، ليس لهم إرادة ولا مشيئة، فهم على النقيض من المعتزلة.

فالجبرية غلوا في إثبات أفعال الله، وغلوا في نفي أفعال العباد، وقالوا: العباد ليس لهم أفعال، فهم غَلَوْا في إثبات وغَلَوْا في نفي.

والقدرية والمعتزلة على العكس غَلَوْا في إثبات أفعال العباد، فهم على طرفي نقيض.

أما أهل السنة والجماعة فيقولون: إن الله هو الذي يخلق ويرزق ويُدبّر؛ كما يشاء وكما يريد، والعباد لهم مشيئة، ولهم إرادة ولهم اختيار، يفعلون الأفعال باختيارهم ومشيئتهم وإرادتهم، فلهم مشيئة ولهم إرادة، لا كما تقوله الجهمية الجبرية، ولكن مشيئتهم ليست مستقلة كما تقوله المعتزلة، وهذا كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩]، فقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ رد على الجبرية الذين ينفون مشيئة العبد، وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ رد على المعتزلة القدرية الذين ينفون إرادة الله ومشيئته، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩]، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان: ٣٠].

والعقاب والثواب إنما على أفعال العباد التي فعلوها بإرادتهم ومشيئتهم واختيارهم، يُعذّبون على المعاصي؛ لأنهم هم الذين فعلوا هذه الأشياء باختيارهم، وكانوا يستطيعون تركها وتجنبها والابتعاد عنها، وهم منهيون عنها، فهم أقدموا عليها باختيارهم، فيُعذّبون على هذا؛ ولذلك الذي ليس له مشيئة ولا اختيار؛ كالمجنون والصغير والنائم لا يؤاخذ، لأنه ليس له مشيئة ولا إرادة، أما العاقل البالغ فهذا يؤاخذ على أفعاله؛ لأنه يستطيع الفعل والترك، الله أعطاه الإمكانية لهذا وهذا، يستطيع يصلي ويستطيع يزني في آن واحد، وهو يستطيع هذا وهذا، فإن كف عن الزنا وأقام الصلاة آجره الله ﷻ، وإن عكس وأتى الزنا وترك الصلاة عاقبه الله على أفعاله، وعلى إرادته.

قوله: «**وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره**»، كل هذا رد

على المعتزلة القدرية، «**ولا يصدر إلا عن تدبيره**»، قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠].

* * *

ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خُطَّ له في اللوح المسطور.

كذلك أيضاً يؤمن الشيخ ـ وأهل السنة والجماعة يؤمنون ـ أنه لا محيد للإنسان عن القضاء والقدر الذي قدره الله ﷻ، خلافاً للمعتزلة الذين يقولون: العبد يستطيع أن يفعل، وليس لله عليه إرادة ولا سيطرة.

وأهل السنة يقولون: إنه يُقدّر ﷻ على العبد امتحاناً وابتلاءً لأجل أن يثيبه أو يعاقبه، وقد يُقدر الأشياء على العبد عقوبة له، فالعبد يفعل الأسباب، والله ـ جلّ وعلا ـ يرتب على الأسباب نتائجها، فإن فعل أسباباً طيبة رتب الله عليها نتيجة طيبة، وإنه فعل أسباباً محرّمة رتب الله عليها نتيجة سيئة؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥ ـ ٧].

فالسبب من قِبَلِ العبد، والنتيجة من قِبَلِ الله ﷻ، وهو يثيب أهل الطاعة وييسرهم لليسرى ويعينهم، ويعاقب أهل المعصية، فيتركهم يتمكنون من هذه الأفعال عقوبة لهم؛ لأجل أن يؤاخذهم ويعاقبهم بسبب نيّاتهم الخبيثة، وبسبب تصرفاتهم، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٨ ـ ١٠]، العبد هو المتسبّب، والله يُقدّر عليه نتيجة لعمله هو ونيته هو، إما ثواباً وإما عقاباً؛ ولهذا سأل الصحابةُ رسول الله ﷺ لما بيّن لهم أن كل شيء بقضاء الله وقدره، قالوا: يا رسول الله ألا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال ﷺ: **«لا، اعملوا فكل مُيسَّر لما خُلق له»**[1]. فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي رضي الله عنه.

بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠]، فلا يجوز للعبد أن يتوقف ويقول: إن كان قُدّر لي أن أصير في الجنة فأنا في الجنة، وإن كان مقدراً إنه في النار يصير في النار. هذا لا يجوز، والعبد لا يطرد هذا في أفعاله، هل يجلس الإنسان ويترك طلب الطعام والشراب، ويقول: إن كان الله مقدراً لي الطعام فسيأتيني وأنا جالس، وسيأتيني الشراب وأنا جالس؟ لا يقول هذا، بل يقوم ويبحث، إذا جاع يقوم ويبحث عن الطعام، وإذا عطش يقوم ويبحث عن الماء، ولا يقول: إذا كان الله مقدراً لي الطعام والشراب سيأتيني؛ لأن فطرته تقتضي أن يتحرك ويبحث.

لو أن إنساناً جاء وضربه أو قتل ابنه هل يسكت ويقول: هذا قضاء وقدر، أو يطلب الانتقام؟ الجواب: يطلب الانتقام، ولِم لا يقول: هذا قضاء وقدر، ولا يؤاخذ القاتل أو الضارب، ولا يُطالب بالانتقام؟ هذا دليل على أن الأشياء لها أسباب، وأن العبد مطلوب منه فعل الأسباب، ولا يبقى بدون فعل الأسباب، الله ربط المسببات بالأسباب، حتى الطيور والحيوانات لا ترى هذا الرأي، لا تقعد في أوكارها وتقول: سيأتيني الرزق وأنا في وكري. وهذه طيور وحيوانات، بل تروح وتبحث عن الرزق؛ لأن الله فطرها على هذا، أنه لا يحصل لها شيء إلا بعمل وحركة وبحث، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

فهذه المقولة خاسرة وكاذبة ـ وهي الاحتجاج بالقدر على ترك العمل ـ والمسلم مطلوب منه أن يعمل العمل الصالح، وإذا أذنب مطلوب منه التوبة، وعنده القدرة على هذا، فهو يقدر أن يفعل، ويقدر أن يترك، فلو ترك العمل عجزاً لم يؤاخذه الله، ولكن إن تركه كسلاً

فهو مؤاخذ على هذا؛ لأنه مفرّط، فهناك فرق بين الكسل وبين العجز، العجز لا يؤاخذه الله عليه، ولكن إذا كسل فهذا يؤاخذ؛ لأنه هو الذي فرّط، فَفِطَر العباد تقتضي هذا مع دلالة الكتاب والسنة.

قوله: «لا محيد»: أي لا مفرّ عن القدر المحدود، ولكن أنتم مأمورون بفعل الأسباب، أما خلق النتائج فهذا بيد الله ﷻ، قد تفعل ولا يحصل لك شيء؛ لأن الله لم يقدّر لك نتيجة، والرسول ﷺ يقول: **«احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل»**(١).

أنت فعلت السبب، ومسألة حصول المقصود هذا عند الله ﷻ، فإذا لم يحصل المقصود فإنك لا تلوم نفسك؛ لأنك فعلت ما تستطيع، وتؤمن بالقضاء والقدر، وتقول: لعل الله اختار لي ما هو أحسن؛ لأنه لو حصل لي المقصود فربما صار ضرر عليّ، فالله حبسه عني لمصلحتي، ولا تكره ذلك.

قوله: «ولا يتجاوز ما خُطَّ له في اللوح المسطور»، كل الأشياء مكتوبة في اللوح المحفوظ الذي أمر الله القلم فكتب فيه كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، وكان ذلك قبل خلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء(٢)، كل شيء مكتوب ومقدر ومحدود، ولا بد من وقوعه في وقته، ولكن أنت مأمور بفعل الأسباب، لا تتوقف وتقول: أنا سأتوقف مع القضاء والقدر. هذا لا

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) راجع (ص٣٣).

يجوز أبداً إلا لإنسانٍ ليس بعاقل، أما العاقل فلا يمكن أن يجلس ويعطل الأسباب ويقول: المكتوب سيقع.

فالصواب: أن هذا الشيء مكتوب إذا فعلت السبب، أما إذا لم تفعل السبب فلا يحصل لك شيء، لو لم تتزوج لم تُرزق الولد، فالزواج سبب لحصول الولد، وهكذا كل الأسباب.

فأنت أيها العبد عليك فعل السبب، وأما النتيجة فهي عند الله ﷻ، ولا تأسف إذا لم تحصل النتيجة بل ترضى بقضاء الله وقدره، وتقول: «قدَّر الله وما شاء فعل»، وربما يكون هذا خيراً لك، فلا تكره ذلك.

وقوله: «في اللوح المسطور»، الذي فيه كتابة مقادير الأشياء كلها، وهناك مقادير جزئية تؤخذ من اللوح المحفوظ، مثل: الجنين في بطن أمه إذا بلغ أربعة أشهر نُفخت فيه الروح، يُرسل إليه الملك، ويؤمر بكتب أربع كلمات: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد[1]. هذا مأخوذ من اللوح المحفوظ من الكتابة السابقة.

* * *

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٣٢٠٨)، و«صحيح مسلم» (٢٦٤٣).

وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت.

من أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر، وقد تكرّر ذكره في القرآن الكريم، ففي أول سورة البقرة قوله تعالى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، فمن صفات المتقين أنهم يوقنون باليوم الآخر، والإيمان باليوم الآخر من البر، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فيؤمنون بالله واليوم اللآخر، وتكرر ذلك في القرآن الكريم، وسُمّي باليوم الآخر؛ لأنه بعد الدنيا، الدنيا هي اليوم الأول، ويوم القيامة هو اليوم الآخر، سُمّي يوم القيامة لقيام الناس من قبورهم لرب العالمين.

وهذا الركن من أركان الإيمان خالف فيه كثيرٌ من الكفرة، فالكفار الذين بُعث إليهم النبي محمد ﷺ يكْفُرون باليوم الآخر، ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧]، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]، فالذي ينكر اليوم الآخر، وينكر البعث كافر بالله ﷻ الكفر المخرج من الملة؛ لأنه جاحد لركن من أركان الإيمان؛ ولأنه مكذّب لله ولرسوله، بل لجميع الرسل، مكذّب لما عُلم من الدين بالضرورة، وليس لهم حجة أو شبهة إلا أنهم يقولون: لا يمكن هذا؛ لأننا صرنا رفاتاً وعظاماً فمَنْ يُحيي العظام وهي رميم؟ ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩]، ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المؤمنون: ٨٢]، إلى غير ذلك.

يستبعدون قدرة الله على أن يُحيي العظام وهي رميم، وأن يعيدها

وهي تراب، ويقولون: ﴿ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الجاثية: ٢٥]، يتحدون الله فيقولون: إذا كان هناك بعثٌ فآباؤنا ماتوا فأحيوهم ونحن ننظر إلى ذلك ﴿ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾، الله ـ جلّ وعلا ـ أخبر أنه لا يُغير سنته سبحانه من أجل استعجال الكافرين، الله قضى بأنه لا يكون البعث إلا في وقته، فلا يُعجّله من أجل استعجال الكافرين، ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الجاثية: ٢٦]، فالله قضى بأن البعث له معاد لا يتقدم، ولا يتأخر، والله ـ جلّ وعلا ـ لا يستفزّه أحد، ولا يغير وعده وتوقيته ﷻ من أجلهم.

وكذلك يتحدَّون الرسول ﷺ يقولون: متى قيام الساعة؟ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، فقيام الساعة لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب، فلما سأل جبريلُ رسولَ الله ﷺ بحضرة أصحابه قال: أخبرني عن الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»[1]، يعني: أنا وأنت سواء؛ لأننا لا نعلمها؛ لأن هذا لا يعلمه إلا الله ﷻ، ثم ما هي فائدتهم إذا عرفوا وقت قيامها؟ ليس لهم فائدة في هذا، إنما الفائدة في الاستعداد والعمل، وأما متى تقوم الساعة فهذا ليس لهم فيه فائدة، وإلا لبينه الله لهم، ولكن هذا من باب المكابرة والعناد، وإلا فمعلوم أنه لو جاءك أحد، وقال: إنه مقبل عليك عدو إن لم تستعد للقائه وتحذر منه فسوف يقتلك ويأخذك. هل من الحكمة أنك تقول:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧)، ومسلم (٩، ١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

متى يأتي هذا العدو؟ هذا ليس من الحكمة، ولا من العقل، الحكمة أن تستعد وتكون على أهبة الاستعداد متى ما جاء، كذلك قيام الساعة، الحكمة أنك تستعد، أما وقت قيامها فهذا ليس لك فيه مصلحة من قريب أو بعيد ﴿وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٩]، الرسولُ ﷺ لا يعلم هذا، ولا أحد يعلم هذا إلا الله ـ جلّ وعلا ـ لحكمة أخفاها عن جميع خلقه، لا يعلمها إلا هو.

كذلك مِن شُبَهِهم أنهم يقولون: هذه الأجسام صارت تراباً، نخرة ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾﴾ [النازعات: ١١]، فكيف تعود فيها الحياة بعد أن كانت نخرة ورميماً؟ ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩]، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يس: ٧٨]، يستبعدون هذا، الله ـ جلّ وعلا ـ رد عليهم بردود، منها:

أن الذي بدأ خلقهم قادر على أن يعيدهم من باب أولى، الذي يقدر على البداية قادر على الإعادة من باب أولى، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]، فالله ﷻ كل شيء عليه هَيِّن، ولكن هذا من باب ضرب المثل للعقول، فالعقول تدري أن الإعادة أسهل منَ البداءة، فلو يأتي شخص ويصنع جهازاً مركباً من أدوات ومسامير ومن أشياء هائلة ودقيقة، ثم بعد ذلك ينتقض هذا الجهاز ويتشتت ويتقطع كل أداة على حدة، وكل مسمار على حدة، أليس الذي ركبه في الأول قادر على أن يركبه بسرعة مرة ثانية؟ الجواب: نعم؛ لأنه عرفه، وعرف مكان كل أداة ومكان كل مسمار، فالمهندس الذي رَكَّبَه في الأول سهل عليه أن يعيده وينظِّمه من جديد، هذا من ناحية العقل، الذي بدأ الشيء قادر

على إعادته من باب أولى؛ ولهذا قال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ نسي أن الله خلقه من العدم، ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس: ٧٨، ٧٩]، فالذي قَدِر على البداءة قادر على الإعادة من باب أولى، هذا في نظر العقول وإلا فالله ـ جلّ وعلا ـ لا يعجزه شيء، ولكن هذا من باب إفحام هؤلاء.

وكذلك الله ـ جلّ وعلا ـ احتج بأنه يُحيي الأرض بعد موتها، فأنت تمر على الأرض هامدة ليس فيها شيء، جرداء بيضاء ليس فيها أي عود أو أي ورقة، فينزل عليها الغيث، ثم تربو وتنتفخ طبقتها، ثم تتفتق عن النبات، ثم بعد فترة وجيزة تصبح روضة خضراء فيها من أنواع النباتات والزهور والثمار، وكانت في الأول جرداء يابسة، مَنْ الذي أعادها وأحياها؟ الذي قَدِرَ على إحياء الأرض قَادِرٌ على إحياء الأجسام: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [فصلت: ٣٩] الذي يُحيي الأرض بعد موتها قَادِرٌ على إحياء الأموات بعد موتهم وإعادتهم كما كانوا. فهذا من أدلة البعث، إحياء الأرض بعد موتها بالنبات.

ثم هذه الحبة اليابسة إذا سقاها الله بالماء انفرجت عن عروق وعن ورق وعن سيقان، ثم في النهاية يكون لها سنابل وتثمر، وهي في الأول حبة يابسة أخرج الله منها هذا النبات العجيب، ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ [القيامة: ٤٠]، فالنطفة مثل البذرة، نطفة من الماء يخلط فيها ماء الرجل وماء المرأة، ثم تتحول إلى علقة: أي إلى دم، ثم يتحول الدم إلى مضغة، أي قطعة لحم، ثم تتحول قطعة اللحم إلى أعضاء وعروق وسمع وبصر وحواس، ثم تُنفخ فيه الروح، ثم يحيي:

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة: ٣٧ ـ ٤٠].

فالذي قَدِرَ على تحويل هذه النطفة من الماء الأمشاج ـ يعني: المختلط من ماء الذكر وماء الأنثى ـ إلى إنسان، هذا الذي خلق هذا الإنسان من هذا الماء وأنشأه قادر على إحيائه بعد موته، وإذا كانوا يقولون: إنه يضيع في الأرض ويتفتت. فالله ـ جلّ وعلا ـ يقول: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾﴾ [ق: ٤]، فالتراب الذي تحوّل من هذا الإنسان يُعاد لحماً ودماً وعظاماً كما كان، هذا الرّفات يُعاد ويتكون كما كان، ولا يضيع منه شيء، حتى ولو فني كله وصار تراباً فهناك شيء لا يفنى، وهو عظمة يسيرة وهي عَجْب الذنب، لا يفنى ومنه يُركب خلق الإنسان[1].

ثم أيضاً لو لم يكن هناك بعث وحساب وجزاء للزم العبث في حقّ الله ـ جلّ وعلا ـ، وأنه يخلق الخلق للفناء فقط، وليس لحياتهم وأعمالهم نتيجة، خلقهم وأوجدهم واعتنى بهم، وهم يعملون، ومنهم من يعمل أعمالاً صالحة، ويموت ولا ينال مِنْ جزائها شيئاً، ومنهم من يعمل أعمالاً قبيحة، ومعاصي، وكفراً، وإلحاداً، ويموت ولا ينال من جزائه شيئاً، هل ينتهي عند هذا؟ الجواب: لا، هذا فيه طعن في عدل الله ـ جلّ وعلا ـ: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]، الله لا يجعل المسلمين كالمجرمين كلهم يموتون ولا ينالون من جزاء أعمالهم شيئاً، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٤٨١٤)، و«صحيح مسلم» (٢٩٥٥).

ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: ٢٧، ٢٨]، فلا يكون فيه بعث وجزاء، لا جزاء للمحسن على إحسانه ولا للمسيء على إساءته، هذا من باب العبث أنّ الله يخلق خلقاً ويتركه ولا يصير له نتيجة، ويعملون أعمالاً سيئة أو صالحة ولا يكون لها ثمرة ولا نتيجة، هذا من العبث، ومن باب الطعن في عدالة الله ـ جل وعلا ـ:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، تعالى الله عن ذلك أن يكون خلق هذا الخلق ويتركهم يموتون ولا يصير لأعمالهم نتيجة، ولا يتميز المؤمن من الكافر، بل ربما يكون الكافر منعماً في هذه الدنيا وهو على المعاصي والكفر، ويكون المؤمن مضيقاً عليه في هذه الدنيا ولا ينال من جزائه شيئاً، هذا يلزم فيه الطعن في عدالة الله ـ جلّ وعلا ـ، ويلزم عليه أنه خلق الخلق عبثاً لا نتيجة لأعمالهم، فهذا من الطعن في حكمة الله ـ جلّ وعلا ـ، وفي عدل الله ﷻ، فهذا من أدلة البعث ذكرها الله في القرآن الكريم في مواضع متعددة، فالإيمان بالبعث ركن من أركان الإيمان الستة، تكرّر ذكره في القرآن الكريم.

* * *

فأؤمن بفتنة القبر ونعيمه.

هذا أول ما يكون في اليوم الآخر، إذا وُضِعَ الميتُ في قبره، وانتُهيَ من دفنه، وتولى عنه مشيِّعوه، وأنه ليسمع قرع نعالهم، يأتيه ملكان فيقعدانه فتُعاد روحه في جسده، ويحيى حياة برزخية ليست مثل حياته في الدنيا، حياة برزخية لا يعلمها إلا الله ﷻ، فيسألانه: مَنْ ربك؟ وما دينك؟ ومَنْ نبيك؟ فالمؤمن يقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، لأنه مات على الإيمان فيُبعث عليه، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فإذا أجاب بهذه الإجابات نادى منادٍ: «أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً من الجنة»، ويوسّع له في قبره مَدَّ بصره حتى يرى منزله في الجنة، ويأتيه من رَوْحها وطيبها، ويصبح قبره روضة من رياض الجنة، ويقول: يا رب أقم الساعة حتى أعود إلى أهلي ومالي.

وأما المنافق الذي كان يعيش في الدنيا على الشك، يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فيقول: أشهد أن لَا إلٰه إلَّا الله وأن محمداً رسول الله. ويقرأ القرآن، ويتعلم العلم، ولكن ليس في قلبه إيمان، إنما يعمل هذه الأشياء لمصالح دنيوية، ليعيش مع الناس، وهو لا يؤمن بها في قلبه، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، فهذا لا يستطيع الجواب وإن كان في الدنيا يحفظ كل المتون، ويحفظ كل الأشعار والنحو والتفسير والحديث، ما دام ليس فيه إيمان لا يستطيع الإجابة في القبر في هذه اللحظة، كلما سُئل

قال: ها ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ـ يعني: مثلما يقوله الناس من غير إيمان في قلبه، وإنما يقول ذلك مجاملة ومسايرة للناس ـ فيُقال له: لا دريت ولا تليت. فيُضرب بمرزبَّة من حديد، لو ضُربت بها جبالُ الدنيا لذابت، ثم يُضيّق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه، ويُصبح قَبْرُه حفرةً مِنْ حفر النار، فيقول: يا رب لا تقم الساعة. لأنه علم أنه ما بعد القبر أشد منه، فيقول: يا رب لا تقم الساعة.

هذا ما يكون في القبر، والإيمان بعذاب القبر أو نعيمه حتمٌ واجب؛ لأنه متواتر في القرآن والسنة بأدلته(١)، فيجب الإيمانُ بعذاب القبر ونعيمه، مَنْ جَحده متعمداً فهو كافر، أما إن كان مقلداً أو متأولاً فهذا ضال، ولكن مَنْ أنكره بعد العلم به متعمداً فهو كافر، وقد أنكرته المعتزلة العقلانيين؛ لأنهم يعتمدون على عقولهم، ويقولون: لو فتحنا القبر وجدناه كما وضعناه ليس فيه جنة ولا نار. فنقول: أنتم في عالم الدنيا وهو في عالم الآخرة، ويأتيه العذاب أو النعيم وأنتم لا تشعرون بذلك؛ لأن هذا من أمور الآخرة التي لا يعلمها إلا الله ﷻ، ولا تتسع العقول إلى إدراك ذلك، وإنما يُعتمد على ما صحّ به النقل، وتواتر به الخبر فنؤمن به ولا نتدخل؛ لأن هذا من عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ﷻ.

أنت تشاهد الناس الآن بعضهم في سرور وبهجة وبعضهم في همّ وغمٍّ، وَهُمْ كلهم يمشون ويأكلون ويشربون وأنت لا تدري عن هذا ولا

---

(١) حديث فتنة القبر أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه، وجاء من حديث أبي هريرة، وجابر، وعائشة، والبراء، وأبي سعيد، رضي الله عنهم أجمعين. انظر: «فتح الباري» (٣/ ٢٣٧، ٢٣٨).

عن هذا، لا تدري عن المسرور ولا عن المغتم؛ لأن هذه أمور باطنة لا يعلمها إلا الله سبحانه.

فقوله: «فاومن بفتنة القبر»، فتنة القبر يعني: الاختبار؛ لأنه يأتيه الفتَّانان، الملكان يسألانه ويختبرانه.

* * *

وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة عراة غُرْلاً، تدنو منهم الشمس.

ثم بعد القبر: البعث، وهو: إعادة الأرواح إلى الأجساد، وقد أنكره المشركون والملاحدة، وقد مر بنا شيء من البراهين على ثبوته في القرآن الكريم، وهي أدلة عقلية مذكورة في القرآن، منها:

- **أن القادر على البداءة قادر على الإعادة من باب أولى، هذا دليل عقلي ودليل سمعي أيضاً، دليل عقلي سمعي.**

- **ومنها أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الأجسام بعد موتها.**

- **ومنها أن الله سبحانه منزّه عن العبث ومنزّه عن الظلم، فلا بد من إقامة العدل بين عباده، وهذا إنما يكون في الآخرة، ولا يكون في الدنيا.**

والقيام من القبور، قال الله ـ جلّ وعلا ـ فيه: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨]، صَعِقَ يعني: مات، هذه نفخة الصعق، فيصعق كُلُّ من في السماوات والأرض إلا مَنْ شاء الله، قيل: الملائكة، وقيل: الحور العين.

ثم يؤمر فينفخ النفخة الثانية، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين، تطير الأرواح إلى أجسادها في النفخة الثانية، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ تشقق الأرض عنهم: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ [ق: ٤٤]، يخرجون من القبور ويسيرون إلى المحشر كأنهم جراد منتشر، ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا

أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ يعني: من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٦، ٧]، يكسون الأرض من كثرتهم، ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ منقادين لا يتأخر أحدٌ، لا الكافرُ ولا المسلمُ، لا يتأخر أحدٌ منهم ولا يستطيع التأخر، وفي الآية الأخرى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣]، نُصُب: عَلَمٌ يذهبون إليه ويُسرعون إليه، تسوقهم الملائكة ولا أحد يتخلف.

وذلك أنَّ الله ﷻ إذا أراد بعث مَنْ في القبور أرسل عليها نوعاً من المطر ينزل من السماء لا يمنع منه شيء، لا السقوف ولا غيرِها، ينفذ إلى الأرض، ويدخل إلى الأجسام في القبور، فتنبت مثلما ينبت الحب، وتنبني الأجسام كما كانت، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم: ٢٥] ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾﴾ [ق: ٤١]، ينادي منادٍ فيقول: أيها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركم أن تجتمعوا لفصل القضاء[1]. فيجتمع الإنسان من الأرض، يجتمع بدنه كما كان إلا أنه ليس فيه روح، حتى إنه لو مر عليه أحدٌ يعرفه في الدنيا لقال: هذا فلان. ما تغير منه شيء.

ثم يؤمر إسرافيل فينفخ في الصور فتتطاير الأرواح؛ لأن الأرواح مجموعة في الصور، تتطاير كل روح إلى جسدها، ثم يُحيون ويؤمرون بالمسير إلى المحشر، يقومون من قبورهم ويسيرون إلى المحشر، ثم يجتمعون في المحشر، فيقفون على أقدامهم في ضنك وضيق وحرّ شديد، وتدنو الشمس من رؤوسهم ويأخذهم العرق والزحام الشديد؛

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٦/ ١٨٣).

لأنه يجتمع الأولون والآخرون في صعيدٍ واحد، فيجتمعون ويعرقون عرقاً شديداً، ويختلفون في العرق، فمنهم من يلجمه العرق، ومنهم من يأخذه إلى نصفه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه.... إلى آخره. والوقوف يكون خمسين ألف سنة، شاخصةً أبصارهم حافيةً أقدامهم، حفاة ليس عليهم نعال، عراة ليس علهم ثياب، غُرْلاً يعني: غير مختونين، ويقفون في هذا المحشر هذا الوقف الطويل يجمع الله ﷻ الأولين والآخرين.

وقد ذكر الله ﷻ في القرآن ثلاث نفخات:

النفخة الأولى: نفخة الفزع، في سورة النمل: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل: ٨٧].

النفخة الثانية: نفخة الموت، في سورة الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

النفخة الثالثة: نفخة البعث، في سورة الزمر أيضاً: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

قوله: «تدنو منهم الشمس» حتى تكون بمقدار الميل، ولكن المؤمنون يكونون في ظلال، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾﴾ [المرسلات: ٤١]، ما يحسون بها، ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، فالمؤمنون في راحة في هذا اليوم، ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]، على الكافرين خاصة، ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾ [المدثر: ٨]، يعني: الصور، ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر: ٩، ١٠]، أما المؤمنون فيكون يسيراً عليهم، ويكونون في ظلال باردة.

هذا الحشر، أنهم يُحشرون في صعيد واحد، يُسمعهم الداعي ويَنفذهم البصر، صعيد واحد متساوٍ ليس فيه ارتفاعات وانخفاضات ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: ١٠٥ ـ ١٠٨]، يقومون في هذا الصعيد المستوي الذي ليس فيه انخفاضات ولا ارتفاعات.

* * *

وتُنصب الموازين، وتوزن بها أعمال العباد: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨]، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٣]، وتُنشر الدواوين، فآخذٌ كتابه بيمينه وآخذٌ كتابه بشماله.

الموازين: موازين الأعمال، وقد ذكرها الله في القرآن ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأعراف: ٨]، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١].

فالموازين ثابتة في القرآن، موازين حقيقية لها كفتان، توضع الحسنات في كفة، وتوضع السيئات في كفة، فإن رجحت حسناته فاز ونجا، وأفلح فلاحاً لا شقاء بعده، وإن ثقلت سيئاته فقد خَابَ وخَسِرَ، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٩]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾، وفي قوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾.

قال: «فآخذٌ كتابه بيمينه وآخذٌ كتابه بشماله»، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقة: ١٩]، فَرِحٌ به ويُريه الناس ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ يعني: في الدنيا، ظننت يعني: أيقنت أني ملاقٍ حسابي، فاستعددتُ لذلك، ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ

أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢١ ـ ٢٤]، الخالية يعني: الماضية في الدنيا.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ [الحاقة: ٢٥]، هذا يقول: يا ليتني ما رأيت هذا الكتاب، ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٢٧]، القاضية: يعني: الموت، ليتني متّ ولم آت هنا ولم أُبعث ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾﴾ [الحاقة: ٢٨]، في الدنيا ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٩]، يعني: ليس له حجة على الله جلّ وعلا، ثم يقول الله ـ جلّ وعلا ـ للملائكة: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ [الحاقة: ٣٠]، إلى آخر الآيات.

هذا حال من أحوال القيامة في هذه السورة، وهو متكرّر في القرآن.

* * *

وأؤمن بحوض نبينا محمد ﷺ بعَرْصَةِ القيامة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

وأؤمن بأنّ الصراط منصوب على شفير جهنم، يمرّ به الناس على قدر أعمالهم.

كذلك مما يكون في اليوم الآخر حوض النبي ﷺ، وهو حوض طوله مسيرة شهر وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، من يشرب منه شربة واحدة لا يظمأ بعدها أبداً[1]، ترد أمته عليه الحوض فيسقيهم ﷺ، ويرد عليه أناس فيُمنعون، فيقول: «**يا رب أصحابي**»، فيُقال له: «**لا تدري ماذا أحدثوا بعدك**»[2].

فيُمنعون ـ والعياذ بالله ـ من الورود إلى الحوض، وهم الذين يُحدثون في الدين ويبتدعون في الدين، يُمنعون من ورود الحوض.

قوله: «بعَرْصَةِ القيامة»، العرصة: هي المكان الواسع.

ومما يكون في يوم القيامة: الحساب، يُحاسب الله ـ جلّ وعلا ـ الخلائق يوم القيامة، فالكافر يُحاسب حساب تقرير، ليس حساب موازنة بين الحسنات والسيئات؛ لأنه ليس له حسنات، وإنما يُقرّر بأعماله الكفرية.

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (٦٥٧٩)، و«صحيح مسلم» (٢٢٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٦)، ومسلم (٢٢٩٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وانظر في أحاديث الحوض: «الجمع بين الصحيحين» لعبد الحق الإشبيلي (٣/ ٤٤٠) وما بعدها.

وأما المؤمنون فيحاسبون على أعمالهم؛ لأنه لهم حسنات ولهم سيئات، ومنهم من لا يُحاسب، ويدخل الجنة بغير حساب؛ كما في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب[1]، ومنهم من يُحاسب حساباً يسيراً وهو العرض ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق: ٨، ٩]، ومنهم من يُناقش الحساب، يُحاسب حساب مناقشة[2].

قال رَحِمَهُ اللهُ: «**وأؤمن بأنّ الصراط منصوب على شفير جهنم، يمرّ به الناس على قدر أعمالهم**»، بعد هذه الأهوال كلها هناك الصراط منصوب على متن جهنم، والصراط: هو الطريق، وهو ما يُسمى بالقنطرة، على متن جهنم؛ أي على وسط جهنم، يمر الخلائق كلهم على هذا الصراط، وهو أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف، وأحرّ من الجمر، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم تجري بهم أعمالهم فوق الصراط:

- **فمنهم مَنْ يمر كالبرق الخاطف.**
- **ومنهم من يمر كالفرس الجواد.**
- **ومنهم من يمر كراكب الإبل.**
- **ومنهم من يعدو عَدْواً.**
- **ومنهم من يمشي مشياً.**
- **ومنهم من يزحف زحفاً.**
- **ومنهم من يُخطف ويُلقى في جهنم.**
- **وهذا مذكور في القرآن، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ**

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) انظر: «صحيح البخاري» (١٠٣)، و«صحيح مسلم» (٢٨٧٦).

وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ كل الناس يردون جهنم: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢]، فإذا تجاوزوا الصراط أُوقفوا للقصاص، يُقتص لبعضهم من بعضهم، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذن لهم في دخول الجنة.

* * *

وأؤمن بشفاعة النبي ﷺ، وأنه أول شافع وأول مشفّع.

قوله: «أؤمن بشفاعة النبي ﷺ»، «أؤمن» معناه: أُصَدِّقُ وأعتقد حصول شفاعة محمد ﷺ.

والشفاعة: مأخوذة من الشفع، وهو ما كان أكثر من واحد، فالواحد يُقال له: وتر، والاثنان يُقال لهما: شفع. قال تعالى: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝﴾ [الفجر: ٣]، فالشفع: هو ما كان أكثر من فرد، وأما الوتر: فهو الفرد. هذا في اللغة.

وأما في الاصطلاح، فالشفاعة: يُراد بها الوساطة للمحتاج في قضاء حاجته عند من يملكها؛ لأن طالب الحاجة واحد، فإذا انضم إليه واسطة صار شفعاً بعد أن كان واحداً؛ لذلك سميت الشفاعة، وبعضهم يقول: الشفاعة: هي طلب الخير للغير.

والشفاعة على قسمين:

- **شفاعة عند الله.**
- **وشفاعة عند الخلق.**

والشفاعة عند الخلق تنقسم إلى قسمين:

- **شفاعة حسنة.**
- **وشفاعة سيئة.**

قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾ [النساء: ٨٥]، فإذا كانت الشفاعة في تحصيل شيء مباح وشيء نافع فهي حسنة؛ كما لو شفعت بجاهك عند السلطان أو عند ولي الأمر في قضاء حاجة أخيك، فتشفع لإخوانك في

تحصيل مطالبهم المباحة ومصالحهم النافعة، فهذه شفاعة حسنة؛ لأنها من التعاون على البرّ والتقوى، **«والله في عَوْنِ العبد ما كان العبد في عَوْنِ أخيه»**[(١)]، وقد قال ﷺ: **«اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء»**[(٢)]، فقوله: **«اشفعوا تؤجروا»** فيه بيان أن الشفاعة الحسنة فيها أجر؛ لما فيها من النفع للمحتاجين.

وأما الشفاعة السيئة: فهي الشفاعة في أمر محرّم، كأن تشفع في إسقاط حد من حدود الله لمن وجب عليه أن لا يُقام عليه الحد، فهذه شفاعة محرّمة، وملعون من قام بها، لقوله ﷺ: **«إذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمشفّع»**[(٣)]، ولمّا أراد أسامة بن زيد رضي الله عنه أن يشفع في امرأةٍ وَجَبَ عليها حدّ السرقة، وشقّ ذلك على قومها، فطلبوا من أسامة أن يشفع عند رسول الله ﷺ في عدم قطع يدها، فشفع أسامةُ وَكَلَّمَ الرسول ﷺ فغضب عليه غضباً شديداً، وقال: **«أتشفع في حدّ من حدود الله، إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد ﷺ سرقت لقطعت يدها»**[(٤)]، وفي الحديث: **«لعن اللهُ مَنْ آوى محدثاً»**[(٥)]، آواه يعني: حماه من إقامة الحكم الشرعي عليه، فالشفاعةُ السيئةُ هي ما كانت في شيء محرّم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الدارقطني في «سننه» (٣/ ٢٠٥ رقم ٣٦٤)، والطبراني في «الأوسط» (٢/ ٣٨٠ رقم ٢٢٨٤) من حديث الزبير بن العوام. وانظر: «فتح الباري» (١٢/ ٨٧ ـ ٨٨).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه مسلم (١٩٧٨) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أما الشفاعة عند الله ـ جلّ وعلا ـ فهي ثابتة في القرآن وفي السنة، وذلك بأن الله يُكْرِمُ بعضَ عباده بأن يدعو لأخيه بما يخلّصه من العقاب يوم القيامة، تكريماً للشافع ورحمة بالمشفوع، فهذه هي الشفاعة عند الله، وهي: أن يأذن الله ـ جلّ وعلا ـ لبعض أوليائه في أن يدعو الله بأن يتجاوز عمّن استوجب العقوبة ويعفو عنه، وهذه ثابتة في القرآن، ولكن بشرطين:

الشرط الأول: أن تُطلب الشفاعة من الله ـ جلّ وعلا ـ ويأذن الله بها، فلا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، بخلاف المخلوقين، فقد يشفع الشفعاء عندهم ولو لم يأذنوا، بل ربما يكرهون ذلك، أما الله ـ جَلّ وعلا ـ فإنه لا يشفع عند أحد إلا بإذنه، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾.

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل الإيمان، ولكن عنده ما يوجب عليه العذاب لكبيرة من كبائر الذنوب ارتكبها، فهو من أهل الإيمان من أصحاب الجرائم التي دون الشرك، وأما المشرك فإن الله لا يرضى أن يُشفع فيه، ولا تُقبل فيه شفاعة، قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ﴾ يعني: الملائكة ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ ارتضى اللهُ قوله وعمله وهو المؤمن، أما الكافر فإن الله لا يرتضيه، فلا تنفعه الشفاعة، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨].

فإذا توفر الشرطان: إذْنُ الله للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع فيه، فالشفاعة حقّ، وإذا اختل شرط فهي شفاعة مردودة، قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ﴾، هذا الشرط الأول، ﴿وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]، هذا الشرط

الثاني، فهذه هي الشفاعة عند الله، تجوز بشرطين، فإذا توفر الشرطان فالشفاعة صحيحة ومقبولة عند الله جلّ وعلا، وإذا اختل شرطٌ فهي مردودة ولا تُقبل.

والناس انقسموا في أمر الشفاعة إلى ثلاثة أقسام: طرفان ووسط:

الطرف الأول: الذي نَفَوا الشفاعة وهم الخوارج والمعتزلة، وقالوا: إنَّ مَنْ استوجب النار لا بد أن يدخلها، بناءً ـ عندهم ـ على أنه لا يستوجب النار إلا كافر؛ لأنهم يُكَفّرون أصحاب الكبائر من هذه الأمة، فيقولون: لا تنفعهم الشفاعة، فمن استوجب النار لا بد أن يدخلها، ومن دخلها فإنه لا يخرج منها. هذا مذهبهم، فينفون الشفاعة التي ثبتت وتواترت بها الأدلة.

الطرف الثاني: الذين غلوا في إثبات الشفاعة، وهم القبوريون والخرافيون الذين يتعلقون بالأموات، ويطلبون منهم الشفاعة، ويدعونهم، ويذبحون لهم، وينذرون لهم، وإذا قيل لهم: هذا شرك، قالوا: هذا طلب للشفاعة؛ كما قال المشركون الأولون: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، فهم غَلَوْا في إثبات الشفاعة حتى طلبوها من غير الله؛ طلبوها من الموتى والمقبورين، وطلبوها أيضاً لمن لا يستحقها وهم أهل الشرك والكفر بالله ﷻ.

الوسط: أهل السنة والجماعة توسطوا، كما هي عادتهم: الوسطية في كل الأمور ـ ولله الحمد ـ فلم ينفوا الشفاعة مطلقاً كما نفتها الخوارج والمعتزلة، ولم يثبتوها مطلقاً كما غلا في إثباتها القبوريون والخرافيون.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة؛ فمما يجري

في يوم القيامة: الشفاعة؛ ولهذا ساقها المصنف ﷺ في جملة ما يكون في اليوم الآخر، أنه يؤمن بكل ما يكون في اليوم الآخر، ومنه الشفاعة.

والشفاعة ستة أنواع:

منها ما هو خاص بالنبي ﷺ، ومنها ما هو مشترك بينه وبين غيره من الملائكة، والأولياء والصالحين، والأطفال الأفراط الذين يشفعون.

فأما الخاص بالنبي ﷺ فهو:

الشفاعة الأولى: الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود، وذلك حينما يتقدم الناس في الموقف، موقف الحشر، ويطلبون من الأنبياء أن يشفعوا لهم عند الله في أن يريحهم من الموقف؛ لأنه طال عليهم الوقوف، مع ما هم فيه من الحرّ والضيق وطول الوقوف، حيث يقفون خمسين ألف سنة، فيتقدمون ويطلبون من آدم عليه السلام أبي البشرية أن يشفع لهم عند الله في أن يفصل بينهم ويريحهم من الموقف، فيعتذر آدم عليه السلام، ثم يطلبونها من نوح عليه السلام أول الرسل، فيعتذر، فيطلبونها من إبراهيم عليه السلام فيعتذر، ويطلبونها من موسى عليه السلام فيعتذر، ويطلبونها من عيسى عليه السلام فيعتذر، ثم يطلبونها مَن محمد ﷺ فيستعد لها، ويقول: **«أنا لها، أنا لها»**(١)، بعد ما يطلبونها من أولي العزم كلهم ويعتذرون إلا نبينا محمداً ﷺ فإنه يقبل أن يشفع لهم عند الله، فيخر ساجداً تحت العرش، فيدعو ربه ﷻ ويحمده، ولا يزال كذلك حتى يُقال له: **«يا محمد، ارفع رأسك، وسل تُعط، واشفع تُشفّع»**، فيشفع عند الله في أهل المحشر، في أن يفصل الله بينهم بحكمه، ويريحهم من الموقف،

---

(١) حديث الشفاعة أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

ويقبل الله شفاعته، فهذا هو المقام المحمود، الذي قال الله ـ جل وعلا ـ فيه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]، وهو الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، إظهاراً لفضله وشرفه ﷺ في هذا الموقف العظيم.

الشفاعة الثانية: شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يدخلوها، وتُفتح لهم، فهو أول من يستفتح باب الجنة عليه الصلاة والسلام؛ ولهذا قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣]، لا تُفتح لهم أول ما يأتون، بل عطف الفتح على مجيئهم؛ لأنه لا يُفتح لهم إلا بعد الشفاعة، ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾، أما الكفار ـ والعياذ بالله ـ فمن حين يصلون إلى النار تفتح لهم أبوابها، يُدْفَعُونَ إليها ويُدعّون إليها دعّاً ـ والعياذ بالله ـ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، إلى آخر الآيات، هذه الشفاعة الثانية للرسول ﷺ والخاصة به.

الشفاعة الثالثة: أنه يشفع ﷺ لأناس من أهل الجنة في رفعة منازلهم في الجنة.

الشفاعة الرابعة: شفاعته في عمه أبي طالب، الشفاعة لا تنفع الكفار، ولكن نظراً لأن أبا طالب حمى النبي ﷺ ودافع عنه، وصبر معه على الضيق، وأحسن إلى الرسول ﷺ، ولكنه لم يوفق للدخول في الإسلام، وعرض عليه النبي ﷺ الإسلام وحرص على أن يدخل في الإسلام، ولكنه أبى؛ لأنه يرى أنه دخوله في الإسلام فيه مسبة لدين آبائه، حيث أخذته الحمية الجاهلية لدين آبائه، وإلا فهو يعترف أن محمداً على الحق، وأن دينه هو الحق، ولكن منعته الحمية والأنفة؛ لأنه لو أسلم بزعمه لصار ذلك سُبَّةً على قومه.

وهو القائل:

ولقد علمتُ بأنّ دينَ محمدٍ ... مِنْ خَيرِ أديانِ البريّة ديناً
لولا الملامةُ أو حذار مسبّةٍ ... لرأيتَني سَمْحاً بذاك مبيناً[1]

فقد منعته الملامة وحذر المسبّة على قومه، ولقد جاءه الرسول ﷺ وهو في سياق الموت، وقال له: «**يا عمّ، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاجّ لك بها عند الله**»، وكان عنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقالا له: أترغب عن ملّة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا عليه، وقالا: أترغب عن ملّة عبد المطلب؟ فقال: هو على ملّة عبد المطلب. ومات على ذلك، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أنهَ عنك**»[2]، فأنزل اللهُ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، ونزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦].

فالنبي ﷺ لا يشفع في إخراجه من النار؛ لأنه مخلد في النار، ولكن يشفع في أن يخفف عنه العذاب فقط، ويُجعل في ضحضاح من نار، وفي أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه؛ فلا يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، مع أنه أخف أهل النار عذاباً[3].

فهذه الشفاعات خاصة بالنبي ﷺ.

الشفاعة الخامسة: مشتركة بين الرسول ﷺ وغيره من الملائكة

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ٤٢)، و«الإصابة» لابن حجر (٧/ ٢٣٦).
(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤) من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه.
(٣) انظر: «صحيح البخاري» (٣٨٨٣)، و«صحيح مسلم» (٢٠٩).

والنبيين والأولياء والصالحين وأفراط المؤمنين، وهي الشفاعة في أهل الكبائر التي دون الشرك، يشفعون لهم ألا يدخلوا النار، وإن دخلوها يشفعون لهم أن يخرجوا منها، وهذه هي التي أنكرها الخوارج والمعتزلة، وقالوا: إن من استحق دخول النار فإنه لا بد أن يدخلها، ومن دخلها فإنه لا يخرج منها.

فقوله: «**أؤمن**» يعني: أصدق وأعتقد «**بشفاعة النبي ﷺ**» الخاصة به، وكذلك يؤمن بالشفاعة المشتركة؛ لأن هذا مذهب أهل السنّة والجماعة.

«**وانه اول شافع**» كما في الحديث[1]، حديث الموقف، «**وأول مشفع**» فهناك شفعاء ولكن هو أول الشفعاء عليه الصلاة والسلام، وهو أول من يُستجاب له من الشفعاء، وفي هذا ردٌّ على الذين يقولون: إن الشيخ ينكر الشفاعة.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهلُ البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

وهو لا يرضى إلا التوحيد، ولا يأذن إلا لأهله، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨].

«**ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال**»؛ كالخوارج والمعتزلة الذين يُكَفّرون أصحابَ الكبائر، ويقولون: إنهم خالدون مخلّدون في النار لا تنفعهم شفاعة الشافعين. أما أهل السنة فيثبتون الشفاعة، ولكن شفاعة النبي ﷺ وغيره من الشفعاء لا تكون إلا بشرطين، ذكرهما الله في القرآن:

الشرط الأول: إذن الله للشافع أن يشفع، وليس كما يكون من ملوك الدنيا الذين يشفع عندهم الشفعاء ولو لم يأذنوا.

الشرط الثاني: أن يرضى عن المشفوع فيه، بأن يكون من أهل التوحيد، ومن أهل الإيمان، ولو كان عنده ذنوب يستوجب بها دخول النار، أو دخل بها النار، فهذا مؤمن تنفعه الشفاعة بإذن الله، أما الكافر فلا تنفعه الشفاعة، إلا ما استثني من شفاعة أبي طالب، وهذه خاصة.

وقوله: «وهو لا يرضى إلا التوحيد»، لا يرضى عن المشرك، وإنما يرضى لأهل التوحيد، **«ولا يأذن إلا لأهله»**، ولا يأذن للشفعاء إلا في أهل التوحيد.

«وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب». قال تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٤٠ ـ ٤٣]، من الأسباب التي أدخلتهم النار: أنهم لم يكونوا من المصلين، فدلّ على أن من ترك الصلاة متعمداً فهو كافر مخلّد في النار، وفي هذا ردٌّ على الذين يقولون: إن ترك الصلاة كفر أصغر. بل هو كفر أكبر بدليل هذه الآية: ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ يعني لا يصلون ولا يدفعون الزكاة، والصلاة والزكاة قرينتان في كتاب الله، فدلّ على أن ترك الصلاة كفرٌ من وجهين:

الوجه الأول: أن الله ذكر ترك الصلاة مع هذه الأمور التي هي كفرٌ بالإجماع: التكذيب بيوم الدين هذا كفرٌ بالإجماع، منع الزكاة جحداً لوجوبها هذا كفرٌ بالإجماع، الخوض في آيات الله ﷻ هذا من الكفر بالإجماع، فدلّ على أن ترك الصلاة كفرٌ؛ لأنه قُرن مع هذه الأشياء.

الوجه الثاني: قوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾، فدل على أن تارك الصلاة عمداً لا تُقبل فيه الشفاعة، وهذا إنما يكون في الكافر، فلو كان مؤمناً لقُبلت فيه الشفاعة.

* * *

وأؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما اليوم موجودتان، وأنهما لا يفنيان.

مما يكون يوم القيامة: الجنة والنار، الجنة التي أعدّها الله للمتقين، والنار التي أُعدّت للكافرين، داران لا بد من ورودهما، وهما الداران الباقيتان، دار القرار: ﴿وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]، ليس فيها ارتحال ولا انتقال، بل أهلها يستقرون فيها أبد الآباد، فأهل الإيمان يكونون إلى الجنة التي أُعدّت للمتقين، وأهل النار يكونون إلى النار التي أُعدّت للكافرين.

والإيمان بالجنة والنار في ثلاث مسائل ذكرها هنا:

المسألة الأولى: أنهما مخلوقتان، قال تعالى في كل منهما: ﴿أُعِدَّتْ﴾، أي: خُلقت وهُيِّئت، فهما مخلوقتان من جملة الخلق.

المسألة الثانية: أنهما موجودتان، قال رحمه الله: **«وأنهما اليوم موجودتان»** رداً على الذين يقولون: إنما توجدان يوم القيامة، أما الآن ليس هناك جنة ونار. وهذا باطل فإنهما الآن موجودتان، ودليل ذلك:

أولاً: أن الله قال في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، فقوله: ﴿أُعِدَّتْ﴾ هذا فعل ماضٍ يدلّ على أنهما قد خُلِقتا، لم يقل: تُخلق أو تُعد، بل قال: ﴿أُعِدَّتْ﴾، هذه حكاية للماضي.

ثانياً: أن الرسول ﷺ أخبر أن ما يصيب الناس من شدّة الحرّ، أو من شدّة البرد أنه من جهنم، وجهنم لها نَفَسَانِ:

- **نَفَسٌ في الصيف، وهذا أشدّ ما يجده الناس من الحرّ.**

- **ونَفَسٌ في الشتاء، وهذا أشدّ ما يجده الناس من البرد.**

فدل على أنهما موجودتان، وأن هذا الحرّ وهذا البرد من النار والعياذ بالله.

ثالثاً: أن الصحابة كانوا جالسين عند النبي ﷺ، فسمعوا وَجْبَةً، يعني: شيئاً سقط، قال: «**أتدرون ما هذا؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا حَجَرٌ رُمِيَ به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يَهْوِي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها**»[1]، فهذا دليل على أنّ النار موجودة.

رابعاً: الله ـ جلّ وعلا ـ ذكر أن الميت إذا وُضِعَ في قبره يُفتح له بابٌ إلى الجنة، ويأتيه من رَوْحِها وطيبها، وأن الكافر والمنافق يُفتح له بابٌ إلى النار، فيأتيه من سَمُومها وحرّها، فهذا دليل على أنهما موجودتان الآن.

المسألة الثالثة: أنهما لا يفنيان، ولا يبيدان أبد الآباد، النار تبقى، وأهلها يبقون، والجنة تبقى، وأهلها يبقون فيها إلى ما لا نهاية.

وفي هذا ردٌّ على الذين يقولون: إن الجنة والنار تفنيان ولا يبقى إلا الله؛ لأنهما لو بقيتا لشاركتا الله في البقاء. فنقول لهما: هناك فرق بين بقاء الخالق، وبقاء المخلوق، بقاء الخالق ذاتي، وأما بقاء المخلوق فهو بإبقاء الله ـ جلّ وعلا ـ له، ففرقٌ بين هذا وهذا. ومنهم من يقول: إن الجنة تبقى، ولكن النار تفنى. وهذا أيضاً قول خطأ، والصواب: أنهما باقيتان أبد الآباد.

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة، كما يرون القمر ليلة البدر لا يُضَامُّون في رؤيته.

هذه المسألة من مسائل يوم القيامة أيضاً؛ لأن الشيخ لا زال رحمه الله يُعدّد ما يكون يوم القيامة، ومن ذلك: «**أنَّ المؤمنين يَروْنَ ربهم يوم القيامة بأبصارهم**»، إكراماً لهم في الجنة، ولا يجدون أطيب من رؤيتهم لله عز وجل ولا ألذّ من رؤيتهم لربهم عز وجل.

وقد جاء هذا في القرآن، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، الحسنى: هي الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجه الله؛ كما في «صحيح مسلم»[1]، وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥]، المزيد: هو رؤيتهم لوجه الله جل وعلا؛ كما جاء في التفسير[2].

وقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ﴿نَّاضِرَةٌ﴾ الأولى بالضاد، من النضرة وهي البهاء والحسن، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ بالظاء المشالة، أي: ناظرة بأبصارها، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ عدّاه بـ«إلى»، وإذا عُدّي النظر بـ«إلى» فمَعناه المعاينة بالأبصار، فأبصار أهل الإيمان تنظر إلى ربها جلّ وعلا.

وكذلك قوله تعالى في الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]، أي: لا يرون الله يوم القيامة، فدلّ على أن المؤمنين يرون الله؛ لأنه إذا حَجَبَ عنها الكفار، دلّ على أن المؤمنين لا

---

(١) أخرجه مسلم (١٨١) من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٦/١٧٣، ١٧٤)، و«تفسير القرطبي» (١٧/٢١ ـ ٢٢).

يُحجبون عنها؛ كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ(١)، وإلا لم يكن هناك فرق، لو كان الله لا يُرى يوم القيامة لما خَصّ الكفار، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥].

وأما الأحاديث فكثيرة جداً ومتواترة عن النبي ﷺ، وقد استقصاها الإمام العلامة ابن القيّم في كتابه: «**حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**»(٢)؛ أي: استقصى الأحاديث الواردة في الرؤية، وأنها بلغت حد التواتر.

أما المعتزلة ومن سار في ركابهم فإنهم ينفون الرؤية كعادتهم؛ لأنهم لا يصدقون بالأحاديث، وإنما يتبعون عقولهم وأفكارهم، ويستدلون بالمتشابه من القرآن، مثل قوله تعالى عن موسى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قالوا: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ هذا نفي للرؤية فدل على أن الله لا يُرى.

والرد على هذا من وجهين:

الوجه الأول: أنه لو كانت رؤية الله غير جائزة لَمَا سألها موسى؛ لأن موسى نبيّ الله وكليم الله، لا يمكن أن يسأل شيئاً لا يجوز، فدلّ هذا على أن رؤية الله جائزة، ولكنه لن يراه في هذه الدنيا؛ لأن المخلوقين لا يقوون على رؤية الله في هذه الدنيا؛ ولهذا ضرب الله له المثل: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾ يعني: مغشياً عليه، فدلّ على أنّ موسى لا

---

(١) أخرجه عنه البيهقي في «الاعتقاد» (ص١٣٢).

(٢) انظر: «حادي الأرواح» (ص٢٠٥) وما بعدها.

يطيق رؤية الله في هذه الدنيا، وكل مخلوق لا يطيق رؤية الله في هذه الدنيا لضعف المخلوقين في هذه الدار.

أما في الجنة، فالله يُعطي المؤمنين قوة على أن يروا ربهم ﷻ.

الوجه الثاني: أن الله ـ جلّ وعلا ـ لم يقل لموسى: إني لا أرى، بل قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ يعني: في هذه الدنيا، و«لن» لا تقتضي النفي مطلقاً، وإنما تقتضي النفي المؤقت؛ ولهذا يقول ابن مالك في «الكافية الشافية»[1]:

ومَنْ رأى النّفي بـ(لن) مُؤبّداً فَقَوْلَه ارْدُدْ وَسِوَاهُ فاعضُدَا

فلن للنفي غير المؤبد؛ ولهذا قال الله ـ جلّ وعلا ـ في اليهود: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥] يعني: الموت، وفي الآخرة يتمنون الموت، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ۝٧٧﴾ [الزخرف: ٧٧]، ففي يوم القيامة يطلبون الموت مع أنهم في الدنيا لن يتمنوه، فدل على أن «لن» لمطلق النفي ولا تقتضي تأبيداً، وإنما هو نفي مؤقت، والله ـ جلّ وعلا ـ قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ يعني: في الدنيا، فليس لهم متمسك في هذه الآية.

الشبهة الثانية: تمسكوا بظاهر قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، قالوا: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ يعني: لا تراه.

والجواب أن يقال: ليس معنى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ أنها لا تراه، لكن معناه أنها لا تحيط به، والإدراك معناه: الإحاطة، والله لم يقل: لا

---

(١) انظر: «شرح الكافية الشافية» (٢/١٠٥)، وفيه: «... وخلافه اعضدا».

تراه الأبصار، بل قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾، ونفي الإدراك لا يلزم منه نفي الرؤية، فقد يرى الإنسان الشيء ولا يُدركه كلّه، فأنت مثلاً: ترى الشمس، ولكن هل تدركها كلها؟، فما كل ما يُرى يُدرك كلّه، فالآية ليس فيها نفي الرؤية، بل فيها نفي الإدراك. يعني: وإن رأته فهي لا تدركه؛ لأن الله ـ جلّ وعلا ـ أعظم من كل شيء، فلا يُحاط به جلّ وعلا، فليس في الآية دليل على نفي الرؤية، وإنما فيها نفي الإدراك فقط.

فقوله: «يرون ربهم بأبصارهم» ردٌّ على من يقول: يرونه بقلوبهم؛ لأن الرؤية قد تكون قلبية، وتكون بصرية، وهم يقولون: يرونه بقلوبهم. لو كان بقلوبهم ما قال الرسول ﷺ: **«كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب»**[(١)]، هل الشمس تُرى بالقلب أو بالبصر؟ الجواب: بالبصر.

وقوله: «كما يرون القمر ليلة البدر» كما يرون البدر عند تمامه ليلة الخامس عشر؛ لأن القمر يتكامل ليلة الرابع عشر والخامس عشر: ولهذا تسمى ليالي الإبدار، يعني: تكامل القمر، فأنت تراه واضحاً، وكل الناس يرونه ليلة البدر واضحاً، كل أهل الأرض يرونه جلياً، والشمس لا مرية أن الناس يرونها كل يوم. وقوله: **«لا يضامُّون في رؤيته»**، يعني: كُلٌّ يراه بسهولة ويسر بدون زحام ولا خطر: لأن الناس ربما يتزاحمون على الشيء الواحد، ويحصل خطر أو موت أو دهس، ولكنهم يرون ربهم مِنْ غير مضارة ولا زحام، وهذا حتى في المخلوق،

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

فالناس كلهم يرون القمر ولا يتزاحمون على رؤيته، ويرون الشمس ولا يتزاحمون على رؤيتها، فإذا كان هذا في المخلوق، ففي الخالق من باب أولى.

* * *

وأؤمن بأن نبينا محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصحّ إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته.

لما ذكر ﷺ في مقدمة الرسالة بعض أصول الاعتقاد الذي سُئل عنه، ذكر في هذا اعتقاده في النبي ﷺ؛ لأن أول أصول الاعتقاد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فشهادة أن لا إله إلا الله يدخل فيها كل ما يتعلق بالرّب ﷻ مِنْ توحيده بأقسامه الثلاثة، وما يتعلق بأفعاله، وبكلامه وكلّ ما يتعلق بالرب ﷻ كلّه يدخل في شهادة أن لا إله إلا الله، ثم شهادة أن محمداً رسولُ الله، وهي الإقرار والاعتراف برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، يعتقدها بقلبه، وينطق بلسانه، ويُتبع ذلك باتباعه ﷺ وطاعته وامتثال أمره واجتناب نهيه وتصديق خبره.

كل هذا يدخل في شهادة أن محمداً رسول الله، يدخل فيها الإيمان بعموم رسالته إلى الجن والإنس ـ الثقلين ـ ويدخل فيها الإيمان بأنه خاتمُ النبيين، لا نبي بعده، كل هذا يدخل في شهادة أن محمداً رسول الله، فلا بد من الاعتراف بالقلب والنطق باللسان، فلا يكفي النطق باللسان دون اعتقاد القلب بأنه رسول الله، فالمنافقون يشهدون أنّه رسول الله بألسنتهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ①﴾ [المنافقون: ١] وهم كاذبون في شهادتهم.

ثم لا يكفي أيضاً الاعتقادُ بالقلب بدون تلفّظ ونطقٍ وإفصاحٍ باللسان، فإنّ المشركين يشهدون أنه رسول الله بقلوبهم، لكن لا يتلفّظون بذلك، فقد أبَوْا استكباراً وعناداً وجحوداً أن يتلفّظوا

برسالته ﷺ، مع أنهم يعترفون بها في قلوبهم، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣]، واليهود والنصارى يعلمون أنه رسول الله، لكن مَنَعَهُم الكبرُ والحسدُ أن ينطقوا بذلك، وأن يتّبعوه، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [البقرة: ١٤٦، ١٤٧]، فلا بد من هذه الأمور في شهادة أنه رسول الله:

- **النطق باللسان.**
- **والاعتقاد بالقلب.**
- **والمتابعة له ﷺ.**

فلا يكفي أن يعترف بأنه رسول الله وينطق بذلك ولكن لا يتابعه، فلا يطيعه فيما أمر، ولا يجتنب ما نهى عنه، أو يكذبه فيما أخبر؛ ولهذا يقول الشيخ في عبارة جميلة له في «ثلاثة أصول»[1]: «**ومعنى أشهد أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع**»، فالعبد ما دام يشهد أنّه رسول الله فلا بد أن يتقيّد بما جاء به، ولا يخالفه بالبدع والمحدثات.

قوله: «خاتم النبيين» يعني: آخر الأنبياء، ليس بعده إلا قيام الساعة، ولهذا يُسمّى نبيّ الساعة، قال ﷺ: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى**»[2]، فهو نبيّ الساعة، وبِعثته

---

(١) (ص٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٣، ٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥٠، ٢٩٥١) من حديث سهل بن سعد، وأنس رضي الله عنهما.

من علامات الساعة، لا نبي بعده، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، قال ﷺ: «**إنه سيكون بعدي كذّابون ثلاثون، كلّ منهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبيّ بعدي**»[(١)].

فالذي لا يعتقد ختم الرسالة به ﷺ كافر، أي: الذي يقول: يجوز أنه يُبعث نبي بعد الرسول. هذا كافر؛ لأنه مكذّب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين؛ كالقاديانية الذين يعتقدون نبوة غلام القادياني، وكذلك الذين اعتقدوا نبوة مسيلمة، ونبوة الأسود العَنْسِي.

ومن ادعى النبوة بعد النبي ﷺ فهو مرتدّ بذلك عن الإسلام، فإن تابوا تاب الله عليهم، مثل: طليحة الأسدي الذي ادعى النبوة ثم تاب من ذلك فتاب الله عليه وقُتل شهيداً ﷺ، وسجاح التميمية التي ادعت النبوة ثم تابت فتاب الله عليها، أما مَنْ ادعى النبوة أو صَدَّق مَنْ يدعيها فهو كافر مرتدّ عن دين الإسلام؛ لأنه لا نبي بعد الرسول ﷺ، ولا حاجة إلى النبي بعد الرسول، ولا حاجة إلى كتاب ينزل بعد القرآن؛ لأن الله أغنى العالم بهذا الرسول وبهذا الكتاب، فرسالته عامة في الزمان والمكان، فهي عامة في الزمان إلى أن تقوم الساعة، وعامة في المكان لجميع أقطار الأرض، كلّها عامة إلى أن تقوم الساعة وشاملة وكافية للخلق، وإنما تكون بعثة الرسل عند الحاجة، والعالم ليس بحاجة لبعثة رسول أو إلى نزول كتاب بعد محمد ﷺ وبعد القرآن.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٨، رقم ٢٢٣٩٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٩٦) من حديث ثوبان ﷺ، وهو في البخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٣٩ رقم ١٥٧) بنحوه من حديث أبي هريرة ﷺ.

وأما نزول عيسى ﷺ في آخر الزمان ـ كما تواترت بذلك الأخبار ـ فهو حقّ، ولكنه ينزل على أنه تابع لهذا الرسول محمد ﷺ، يحكم بشريعة الإسلام، ويكون تابعاً للنبي ﷺ، ويقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ولا يبقى إلا دين الإسلام، فبعد نزول المسيح لا يبقى إلا الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، فهو مجدّد لدين الإسلام وتابع للرسول ﷺ، فلا نبيّ بعد الرسول محمد ﷺ.

قوله: «والمرسلين»؛ لأن بعض الملاحدة يقول: الرسول يقول: **«لا نبيّ بعدي»** ولا يمنع أن يُبعث رسول؛ لأنه قال: **«لا نبيّ بعدي»**، فالممنوع هو النبوة أما الرسالة فلا. يا سبحان الله! لا يكون الرسول إلا نبياً. فبينهما عموم وخصوص، فكلّ رسول نبيّ، وليس كل نبيّ رسولاً.

وقوله: «ولا يصحّ إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوّته»، لا بد أن يشهد بنبّوته ويؤمن برسالته، أي: بأنه نبيّ رسول عليه الصلاة والسلام، والرسالة أعم من النبوة، فمن أبى أن يشهد أنه رسول الله فهو كافر، أو لم يعترف بأنه خاتم النبيين، وأجاز أن يُبعث بعده رسول فهو كافر، وقال: إن رسالته خاصة بالعرب وليست عامة؛ كما يقولوه بعض النصارى، الذين يؤمنون برسالته ولكن يقولون: إنه نبي للعرب خاصة.

وهذا كفر؛ لأنه لا بد من الإيمان بعموم رسالته ﷺ.

* * *

وأنّ أفضل أمته أبو بكر الصدِّيق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم.

الصحابة ﷺ هم أفضل قرون هذه الأمة، وأفضل المسلمين على الإطلاق لا يساويهم أحد، لامتيازهم بصحبة النبي ﷺ والجهاد معه، وتلقّي العلم عنه ﷺ، فعندهم ميزات ليست عند غيرهم من المؤمنين، فقد قال ﷺ: **«خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»**[(١)]، وقال ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه»**[(٢)]، فنهى عن سبّ أصحابه وتنقّصهم وبغضهم، ثم بَيَّن فضلهم، وأن أعمالهم أفضل من أعمال غيرهم، فالصدقة مثلاً: لو تصدق الإنسان بمثل جبل أحد ذهباً خالصاً ما بلغ المُدّ ـ وهو ربع الصاع ـ الذي يتصدق به واحد من صحابة الرسول ﷺ، هذا لفضلهم ﷺ ولمكانتهم، والعمل يضاعف لشرف العامل عند الله تعالى.

فهم أفضل قرون هذه الأمة على الإطلاق، وتجب محبّتهم وتوقيرهم واحترامهم وإجلالهم وعدم تنقّص أحد منهم، ولا يجوز الدخول فيما حصل بينهم وقت الفتنة، ولا يجوز أن نُخَطّئ فلاناً ونصوب فلاناً من الصحابة؛ لأنهم كلّهم مجتهدون، ولا يجوز أن نتلمس أخطاءهم، ونقول: فلان فعل كذا. لأن لهم من الفضائل ما

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٦).
(٢) سبق تخريجه (ص٤٤).

يغطّي أخطاءهم إنّ حصلت، فإنّ حَصَلَ مِنْ أحدهم شيء فله من الفضائل ما يغطّي هذه الأخطاء ﷺ وأفرادهم ليسوا معصومين، فقد يحصل من أفرادهم خطأ، ولكن عندهم من الفضائل، ما يغطّي هذا الخطأ، أما إجماعهم فهم معصومون فيه، فالصحابة معصومون بجماعتهم.

ثم هم يتفاضلون، فأفضلهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة: طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد والزبير بن العوام وأبو عبيدة عامر بن الجراح، هؤلاء شهد النبي ﷺ لهم بالجنة، ومات وهو عنهم راضٍ، رضي الله عنهم وأرضاهم، فهم أفضل الصحابة.

ثم أصحاب بدر أفضل من غيرهم؛ لأن الله اطّلع عليهم وقال: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[1]، ثم أصحاب بيعة الرضوان ـ وهي صلح الحديبية ـ الذين بايعوا تحت الشجرة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨]، أخبر سبحانه أنه رضي عنهم فمنحهم رضاه، ثم المهاجرون أفضل من الأنصار؛ ولهذا دائماً يأتي ذكرُ المهاجرين قبل الأنصار في القرآن، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الحشر: ٨] إلى أن قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾، يعني: الأنصار، فيأتي ذكر المهاجرين قبل الأنصار، فهم أفضل؛ لأنهم تركوا أوطانهم وأموالهم وأولادهم وخرجوا لنصرة الله ورسوله، ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي ﷺ.

وَرَسُولِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾، أثنى الله عليهم بالصدق، فهم يتفاضلون رضي الله عنهم وأرضاهم.

ومن أسلم قبل فتح مكة فهو أفضل ممن أسلم عام الفتح أو بعده، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾ [الحديد: ١٠]، فالذين أسلموا قبل الفتح أفضل من الذين أسلموا بعد الفتح، ولكن يشتركون كلهم في صحبة رسول الله ﷺ، فضيلة عامة ويتفاضلون فيما بينهم.

قوله: «وان افضل امته ابو بكر الصديق ﷺ»؛ لأنه أول الخلفاء الراشدين، وهو الذي بايع له الصحابة بعد الرسول ﷺ واختاروه؛ لأنه أفضلهم.

قوله: «ثم عمر الفاروق»؛ لأنه هو الخليفة بعد أبي بكر، وقد اختاره أبو بكر وعَهِدَ إليه، وهذا يدلّ على أنه أفضل الأمة بعد أبي بكر.

قوله: «ثم عثمان»، هو الثالث؛ لأنه أصحاب الشورى الستة الذين عَهِدَ إليهم عمر اختاروا عثمان ﷺ لفضله، ومكانته.

قوله: «ثم علي المرتضى»، علي بن أبي طالب ﷺ ابن عم الرسول ﷺ، وزوج ابنته، وأبو الحسنين، وله من الفضائل أنه: **«يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»**[1]؛ كما قال النبي ﷺ، فله فضائل عظيمة ﷺ. وهذا معنى قول الشيخ.

«ثم بقية العشرة»، أي: العشرة المبشرين بالجنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٧٥)، ومسلم (٢٤٠٧) من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ.

قوله: «ثم أهل بدر»؛ لأن الله اطّلع عليهم فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

قوله: «ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان»، الذين بايعوا الرسول ﷺ تحت الشجرة على القتال، بايعوه على الموت لما مَنَعَ المشركون الرسولَ ﷺ وأصحابه من دخول مكة للعمرة، فأرسل ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه يفاوضهم، فجاءت إشاعة أن عثمان قُتل، فعند ذلك عزم النبي ﷺ على قتالهم، فطلب من أصحابه البيعة فبايعوه، وكانوا ألفاً وأربعمائة، بايعوه على الموت، ثم تبين أن عثمان رضي الله عنه لم يُقتل، ثم جرى الصلح بين الرسول ﷺ وأهل مكة كما هو معلوم، والشاهد أن الله ذكر هذه البيعة، وأثنى على أهلها ورضي عنهم.

قوله: «ثم سائر الصحابة»؛ لأنهم يشتركون في الصحبة، فكلهم صحابة رسول الله ﷺ، أولهم وآخرهم، لا يساويهم أحد.

* * *

وأتولى أصحابَ رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، وأذكر محاسنهم، وأترضّى عنهم، وأستغفر لهم، وأكفّ عن مساويهم، وأسكت عمّا شجر بينهم، وأعتقد فضلهم، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

قوله: «وأتولى أصحاب رسول الله»، يعني: أتولاهم بالمحبة والتوقير والاتباع والاقتداء، هذا معنى توليهم، بخلاف أهل الزيغ وأهل الضّلال، وفي مقدمتهم الشيعة الذين يتنقصون أصحاب رسول الله ﷺ ويسبّونهم ويُكفّرونهم، ويقولون: إنهم ظلموا أهل البيت وأخذوا الخلافة واغتصبوها، وهي لأهل البيت. كما يَكْذِبون ويفترون على المسلمين، وخلافاً للخوارج الذين كَفّروا الصحابة وقاتلوهم واستحلوا دماءهم.

قوله: «وأذكر محاسنهم»، هذا الواجب على المسلم أنه يذكر محاسنهم ويترضّى عنهم، ويقول: رضي الله عنهم، كل واحد منهم إذا جاء ذكره يقول: رضي الله عنه؛ لأن الله قال: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

ويترضّى عنهم ويثني عليهم ولا يتنقص أحداً منهم أو يتلمس أخطاءهم ويُشْهِر أخطاءهم؛ كما يفعله أهل الزيغ وأهل الضلال، أو الجهال الذين يقولون: نحن نبحث في التاريخ، ونحن نريد التحقيق التاريخي. ويبحثون في الصحابة وما حصل بينهم وقت الفتنة، الفتنة هذا شيء جرى، وهم ما اختاروا الفتنة، ولكن جرى قضاء الله،

ووقعت عليهم الفتنة، وابتُلوا بها، فهذا حصل من غير اختيارهم ﷺ، وهم يريدون الخير، يريدون نصرة الدين ويجتهدون في هذا، فنحن لا ندخل في هذا أبداً، وإن دخلنا فنعتذر عنهم.

قوله: «**واستغفر لهم**» عملاً بالقرآن، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]، لما ذَكَرَ المهاجرين والأنصار قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، هذا موقف المسلم من صحابة رسول الله ﷺ.

قوله: «**واكفّ عن مساويهم**»، فلا أبحث عن مساويهم وأُنبّش عن الأشياء التي قيلت، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «الواسطية»[1]: «**الآثار المروية في مساوئهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون فلهم أجران، وإما مجتهدون مخطؤون فلهم أجر**»، وهم على كل حال مأجورون، ثم لهم من الفضائل ما يُغطّي ما يحصل من الخطأ الذي قد يحصل من أفرادهم، فالصحبة تُغطّي كل هذا.

وأما ما شجر بينهم وقت الفتنة، فهذا ليس باختيارهم ابتُلوا به بسبب دعاة الضّلال الذين اندسوا بينهم؛ كعبد الله بن سبأ والذين اتبعوه، فصاروا ينشرون الفتنة حتى صارت الحرب، أولُ الفتنة: تنقّص ولي الأمر، حيث تنقّصوا عثمان وطعنوا فيه، ثم آل الأمر إلى أن قَتَلُوا عثمان رضي الله عنه، فلما قَتَلوه انفتح باب القتل والفتنة، فهذا أمرٌ جرى

(١) انظر: «العقيدة الواسطية» (ص٤٤) بنحوه.

عليهم ﷺ وابتُلوا به، فلا ندخل فيما شجر بينهم، ونخطّئ علياً، أو نخطّئ معاوية، ما ندخل بينهم في هذا أبداً، هذا كله صادر عن اجتهاد، كلهم يريد نصرة الحق.

قوله: «واعتقد فضلهم»، نعتقد أنهم أفضل الأمة، فهذا الاعتقاد واجب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾، والغلّ: هو البغض والحقد، فلا يكن في صدرك أو في قلبك بغض أو غلّ أو حقد لأحد من صحابة رسول الله ﷺ.

* * *

وأترضى عن أمهات المؤمنين، المطهّرات من كل سوء.

والشيخ رحمه الله يترضّى عن أمهات المؤمنين - زوجات النبي ﷺ - فهنّ أمهات المؤمنين في القَدْر والاحترام لا في النسب، ولكن في القَدْر والإجلال، والنبي ﷺ هو أبو المؤمنين في القَدْر لا في النسب ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] يعني في النسب؛ لأن هذا ردٌ على الذين يقولون: إن زيد بن حارثة ابنٌ للرسول ﷺ، والله نفى هذا، ولكن ليس معنى هذا أنه ليس أباً لهم في القدر والإجلال، قال تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وفي قراءة(١): ﴿وهو أب لهم﴾، يعني: في القدر والإجلال.

وأما إنهن أمهات المؤمنين فهذا بنص القرآن الذي يُقرأ إلى يوم القيامة ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ بمعنى: أنه لا يجوز لأحد أن يتزوج منهن بعد الرسول ﷺ؛ لأنهن زوجاته في الجنة: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فهنّ محرّمات على الأمة؛ لأنهن زوجاته في الدنيا والآخرة عليه الصلاة والسلام، وكفى بذلك فضلاً لهنّ؛ ولأنهنّ حَمَلْنَ مِنَ العلم والشرع ما بَلَّغْنَه الأمة، حَمَلْنَه عن رسول الله ﷺ، فلهنّ الفضل، ولهنّ الإجلال، رضي الله عنهنّ جميعاً.

والذين يطعنون في زوجات النبي ﷺ يطعنون في النبي عليه

---

(١) قرأ بها أُبيّ بن كعب وابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والحسن رضي الله عنهم. انظر: «الدرّ المنثور» للسيوطي (٦/ ٥٦٧).

الصلاة والسلام، فالذين يطعنون في عائشة ﵂ ـ هم الشيعة ـ هؤلاء يطعنون بالرسول ﷺ؛ لأن الرسول يحبّها ويحبّ أباها، ولها مكانة عند الرسول ﷺ، مُرِّض عندها، وتوفي بين سَحْرِها ونحْرِها، وكان رأسه في حجرها ـ عليه الصلاة والسلام ـ وفضلها عظيم؛ لقربها من النبي ﷺ ونزول الوحي على الرسول ﷺ وهو في فراشها، ولها فضائل عظيمة.

فالشيعة الذين يطعنون في عائشة ﵂ هؤلاء لا شكّ أنهم بذلك يعادون الرسول ﷺ ويؤذونه، فمن آذى عائشة فقد آذى الرسول ﷺ، والله أنزل براءتها مما اتُّهمت به من المنافقين في حادث الإفك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾، قال ـ جلّ وعلا ـ: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النور: ٢٦]، ما كان الله ليختار لنبيه ﷺ امرأة خائنة في فراشها، فإذا طُعن فيها فقد طُعن في النبي ﷺ، وإذا طُعن في النبي ﷺ فهذا طَعْن في الله جلّ وعلا، وهذا كُفر، كُفر أكبر.

والذين لا يبرِّئون عائشة ﵂ مما اتهمها به المنافقون هؤلاء كُفّار؛ لأنهم مكذبون لله ولرسوله ولإجماع المسلمين.

وقبلها مريم ابنة عمران اتهمها اليهود ـ لعنهم الله ـ فبرأها الله مما قالوا، فالشيعة فيهم شبه من اليهود من عدّة وجوه وهذا أقبحها.

* * *

وأقرّ بكرامات الأولياء، وما لهم من المكاشفات.

لما فرغ كَلَلهُ مما يجب للرسول ﷺ، وما يجب لأصحابه، وما يجب لأهل بيته ﷺ انتقل إلى بيان الاعتقاد في كرامات الأولياء.

والكرامات: جمع كرامة، وهي الأمر الخارق للعادة الذي يجري خارقاً للعادة، ويكون من الله ـ جلّ وعلا ـ لا دَخْلَ للبشر فيه، إن جرى على يد نبيّ فهو معجزة، مثل:

- **تكثير الطعام القليل بين يدي النبي ﷺ، ونبع الماء من بين أصابعه، وأعظم من ذلك نزول القرآن، وهو المعجزة العظيمة للرسول ﷺ الذي أعجز الجن والإنس أن يأتوا بسورة منه.**
- **عصا موسى، ويد موسى، والآيات التسع التي أعطاها الله لموسى عليه الصلاة والسلام.**
- **ما أُعطي عيسى من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.**

فهذه معجزات، وما أُعطيه نبينا ﷺ من المعجزات كثيرٌ جداً.

أما إن جرت الخارقة على يد عبدٍ صالحٍ وليس نبياً فهي كِرامة من الله ـ جلّ وعلا ـ مثل الذي جرى لمريم لما كانت معتزلة في مكان ومتخذة حجاباً دون الناس، ويأتيها رزقها وهي في مكانها: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران: ٣٧]، يعني: المُصَلَّى الذي تصلي فيه، كلّما دخل عليها زكريا مصلّاها، وهو المحراب ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

ومثل الذي جرى لأصحاب الكهف من الكرامات؛ لأنهم مؤمنون، تبرأوا من دين المشركين، وخرجوا من البلد وأووا إلى غارٍ

فراراً بدينهم، فالله ضَرَبَ عليهم النوم سنين طويلةً حتى زادت شعورهم وأظفارهم، وهم يتقلّبون من جنب إلى جنب، ومضت عليهم سنون كثيرة وهم لم يتغيروا، وهم في نومهم، هذا من كرامات الأولياء.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب: «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان»، وهو كتاب نفيس جداً في هذا الباب.

أما إذا جرى الخارق على يد كافر أو على يد ساحر، فهذا ليس كرامة، وإنما هذا خارق شيطاني، فالساحر قد يَطِيرَ في الهواء، ويمشي على الماء، ويدخل في النار ولا تحرقه، وهذا عمل شيطاني وليس بكرامة، وهو ابتلاء وامتحان.

فنحن نؤمن بكرامات الأولياء وأنها منحة من الله، قال أهل العلم[1]: كرامات الأولياء معجزة للأنبياء. لأنهم ما حصلوا على هذه الكرامات إلا باتباعهم للأنبياء، فهي كرامة للأولياء ومعجزة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والناس في الكرامات على ثلاثة أقسام، طرفان ووسط:

الطرف الأول: من ينكر الكرامات، وهم المعتزلة، ينكرون كرامات الأولياء، ويقولون: ليس هناك كرامات ولا خوارق. لأنهم يعتمدون على عقولهم ولا يعتمدون على الأدلة، فينكرون الكرامات.

الطرف الثاني: فريقٌ غلا في إثبات الكرامات حتى عدّوا مخاريق السحرة والكهنة والصوفية كرامات، وهي خوارق شيطانية وليست كرامات، هؤلاء غَلَوْا في إثبات الكرامات حتى اعتقدوا أن كل شيء يخالف العادة فهو كرامة، ولو كان جرى على يد ساحر وكاهن

(١) انظر: «النبوات» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٣٠).

ومشرك، فيقولون: هذه كرامة. ولذلك يعبدون القبور ويقولون: إن صاحبها حصل له كرامات وحصل له كذا وكذا، ويطلبون منه المدد، وهذا غُلُوٌّ في أصحاب الكرامات.

الثالث: أهل السنة والجماعة، فيتوسطون، يثبتون الكرامات الصحيحة، أما خوارق الشياطين وما يجري على يد الشياطين فهذه ليست كرامات، وإنما هي شيطنة وابتلاء وامتحان، فقد يطير الساحر في الهواء، ويمشي على الماء ويحصل له أشياء، ولكن هذا بفعل الشياطين، وقد يخبر عن أشياء غائبة؛ لأن الشياطين تخبره، إذا هو عبدهم وخضع لهم خدموه، ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام: ١٢٨]، فإذا تقرب الإنسي إلى الجن وخضع لهم خدموه، وهم يقدرون على ما لا يقدر عليه الإنس، فيظن الجاهل أن هذه كرامة، وهي ليست كرامة، وإنما هي شيطنة، فيجب التنبّه لهذا في أمور، فالكرامات لا تُنفى مطلقاً ولا تثبت مطلقاً، وإنما يُفَصَّلُ فيها فيكون الإنسان على بصيرة.

وقوله: «وما لهم من المكاشفات»، يعني: الفراسة، يعطي الله بعض المؤمنين فراسة، يتفرس فيها الأشياء، وتحصل كما تفرّسها.

* * *

إلا أنهم لا يستحقّون من حقّ الله تعالى شيئاً، ولا يطلب منهم ما لا يَقْدر عليه إلّا الله.

قوله: «لا يستحقّون من حقّ الله تعالى شيئاً»، هذا احتراز من المؤلف رَحِمَهُ اللهُ، وهو ردٌّ على الذين يغلون في أصحاب الكرامات، ويعبدون الأولياء والصالحين من دون الله، ويقولون: لهم كرامات.

كما عليه القبوريون الذين يتقربون إلى الأموات، ويعتقدون في بعض الأحياء أنه وصل إلى درجة يستطيع فيها أن ينصرهم وأن يعطيهم أشياء لا يقدر عليها إلا الله، بناءً على أنَّ له كرامات، فيقولون: إن له كرامات وهذا دليل على أنه ينفع ويضر.

فالمؤلف رَحِمَهُ اللهُ يردّ على هؤلاء، وغالب ما عليه القبوريون مبني على هذا الوهم، الغلو في أصحاب الكرامات، فنحن نحبّ الصالحين، والذين تجري على أيديهم كرامات، نحبّهم ونجلّهم ونقتدي بهم، ولكن لا نعطيهم شيئاً من العبادة كما يفعله الخرافيون.

قوله: «من حقّ الله تعالى»، وحقّ الله هو العبادة؛ كما قال ﷺ: **«وحق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»**[١].

وقوله: «ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلّا الله»؛ كإجراء الرزق وشفاء المريض وهبة الولد وغير ذلك، هذا لا يقدر عليه إلا الله، أما ما يقدرون عليه من أمور الدنيا فيطلب منهم إذا كانوا أحياءً، حتى ولو كان ليس لهم كرامات، تطلب من الإنسان أن يساعدك بالمال؛ كأن يكون غنياً تطلب منه أن يقرضك أو يتصدق عليك، وإذا وقعت في

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

كربة تطلب منه أن يساعدك في الخروج منها، وفي الحديث: «**من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة**»[1]، فيُستغاث بالمخلوق الحيّ فيما يقدر عليه؛ كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، استغاث بموسى عليه السلام ﴿ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ﴾ من بني إسرائيل ﴿عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ من آل فرعون ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أغاث هذا الرجل المظلوم، وكما يستغيث الرجل بأصحابه في الحرب وغيرها، يستنجد بهم، فالاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه لا بأس بها، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

أما الاستغاثة بالأموات فلا تجوز مطلقاً؛ لأن الأموات لا يقدرون على شيء، لا الرسول ﷺ ولا غيره، هم في عالم وأنت في عالم آخر، فلا تطلب من الأموات شيئاً بحجّة أن لهم كرامات وأنهم يقدرون، هذا باطل، فالميت لا يُطلب منه شيء ولو كان من أفضل الناس.

وكذلك الحيّ لا يُطلب منه ما لا يَقْدر عليه إلّا الله، لا يُطلب منه شفاء المريض، أو إعطاء الولد، أو جلب الرزق له، فما يُطلب من المخلوق شيء لا يَقْدر عليه إلّا الله ﷻ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنّة ولا نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ؛ لكني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء، ولا أكفّر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام.

هذا معتقد أهل السنة والجماعة، أنهم لا يشهدون لأحد معين بجنّة ولو كان من الصالحين، ولا يشهدون لأحد بالنار ولو كان من الكافرين؛ كأن تقول: هذا من أهل الجنة، أو هذا من أهل النار. هذا لا يجوز إلا لمن أطلعه الله على الغيب وهو الرسول ﷺ، ولم يطلعه على الغيب كله، ولكن على شيء من المغيبات، ومن ذلك أن الرسول ﷺ شهد لأناس بالجنة، فنحنُ نشهد أنهم من أهل الجنة، كالعشرة المبشرين بالجنة من صحابة رسول الله ﷺ، وهم: الخلفاء الأربعة، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد، وعبد الرحمٰن بن عوف، وأبو عبيدة، عامر بن الجراح، هؤلاء شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وثابت بن قيس بن شماس بشّره النبي ﷺ بالجنة، فهؤلاء نشهد لهم؛ لأن الرسول شهد لهم بأعيانهم، فنقول: فلان في الجنة، أبو بكر في الجنة، عمر في الجنة، طلحة، والزبير، كل هؤلاء في الجنة؛ لأن الرسول أخبر أنهم في الجنة.

والرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، وإن كان هذا من الغيب، ولكن الله أطلع الرسول ﷺ على الغيب، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]، يُطلع الله الرسلَ على شيءٍ من المغيبات؛ لأجل مصلحة البشر.

وكذلك لو كان كافراً أو فاسقاً فإننا لا نشهد له بالنار؛ لأننا لا

ندري عن خاتمته، لا نشهد لأحد بالجنة وإن كان من الصالحين؛ لأننا لا ندري عن خاتمته بم يُختم له؟ ولا نشهد لأحد بالنار ولو كان كافراً لأننا لا ندري بم يُختم له؟ والنبي ﷺ يقول: «**إن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**»[١].

والخواتيم لا يعلمها إلا الله ﷻ، فنحن لا نشهد للمعيّن، أما العموم فنحن نشهد على الكفار أنهم في النار من غير تعيين فلان، نقول: الكافرون في النار، والمؤمنون في الجنة، على العموم، قال تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، فلا شك أنَّ الكفّار في النار من غير تعيين أشخاص إلا بشهادة، ولا شك أن المؤمنين في الجنات من غير تعيين أشخاص إلا بشهادة ممّن لا ينطق عن الهوى.

وهذا من التأدب مع الله ﷻ فنحن لا نشهد للمعيّن إلّا بدليل، ولكننا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

قال رحمه الله: «**ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام**»، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يكفرون بالكبائر التي دون الشرك؛ كالزنا والسرقة وشرب الخمر وأكل الربا، هذه كبائر موبقات ولكن لا يحكمون على صاحبها بالكفر، بل يحكمون عليه أنه ناقص الإيمان، فهي كبائر تُنقص الإيمان، وحكم صاحبها أنَّه تحت

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فنحنُ لا نكفّر إلا من كفّره الله ورسوله بالأدلة من الكتاب والسنة وبإجماع أهل العلم.

وأما أن نكفّر بالكبائر التي دون الشرك فهذا مذهب الخوارج والمعتزلة الضُّلّال الذين يحكمون على مرتكبي الكبائر أنهم كفّار وأنهم مخلّدون في النار ـ نسأل الله العافية ـ هذا معتقد باطل يخالف الأدلة.

لكن من استحل محرّماً مجمعاً على تحريمه فهذا كافر؛ كما لو استحل الربا، أو الخمر، أو الزنا، أو حَرَّمَ شيئاً مجمعاً على حلّه فهذا كافر؛ لأنه مكذّب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين، فمسألة التكفير لها ضوابط عند أهل السنة والجماعة، أما مجرد ارتكابه للكبيرة التي دون الشرك فهذا خطر بلا شك، وهو متوعّد بالنار والغضب، ولكن لا نحكم عليه بالكفر، بل نقول: إنه مؤمن ناقص الإيمان، وفي الآخرة هو مُعرَّض للوعيد الذي ورد، إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عذبه، ولكن إذا عذبه لا يُخلّد في النار كالكفّار، بل يُخرج منها إلى الجنة.

ولا يخرج من دائرة الإسلام بل يبقى في دائرة الإسلام، فيكون معه أصل الإسلام وأصل الإيمان، لكن يكون إيمانه ضعيفاً؛ لأن المعاصي تُنْقِصُ الإيمان.

وانظر إلى كلام هذا الإمام الذي قال عنه خصومه: إنه يكفّر المسلمين، فهو ينفي عن نفسه هذه التهمة الباطلة، ويُبين ما هو عليه.

* * *

وأرى الجهاد ماضياً مع كل إمام برّاً كان أو فاجراً، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة.

الجهاد: هو بذلُ الجهدِ في قتال الكفار لإعلاء كلمة الله، فالغرض من الجهاد هو إعلاءُ كلمة الله ونشر التوحيد وإبطال الشرك؛ لأن الدين لله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالعبادة حقٌّ لله، فمن عَبَدَ غيرَ الله فإنه يُدعى إلى الرجوع إلى الإسلام والتوبة وإخلاص التوحيد فإن أبى فإنه يُقاتل.

لأن الله بعث رسوله ﷺ بالدعوة والجهاد، بالدعوة أولاً ثم الجهاد بعد ذلك؛ لئلا ينتشر الكفر، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ يعني: شرك، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ ليس فيه عبادةٌ لمخلوق بل العبادة للخالق ﷻ.

هذا هو الغرض من الجهاد، وهو نشر التوحيد ومحو الشرك من الأرض؛ لأن الله خلق الخلق لعبادته، فإذا عبدوا غيره فإمّا أن يتوبوا ويرجعوا وإمّا أن يُقَاتَلُوا؛ لأنهم لو تُركوا لنشروا الكفر؛ لأن الكفّار يَدْعُونَ إلى الكفر، فالكافر إذا كان كفره ينتشر يُقاتَلُ، أما إذا كان كفره قاصراً عليه، ولا يدعو إليه، وليس له نشاط في نشر الكفر، وإنما هو مقتصر على نفسه فهذا لا يُقاتَل، مثل: كبار السن من الكفّار والنساء والأطفال والرهبان في صوامعهم، هؤلاء لا يُقاتَلون؛ لأن كفرهم قاصرٌ عليهم، وكذلك من خضع للإسلام وبذل الجزية فإنه لا يُقَاتَل، بل يُترك على دينه وتؤخذ منه الجزية، ويكون تابعاً لحكم الإسلام، وهذا شرّه يقتصر عليه، ومعلوم أن الذي تؤخذ منه الجزية أنه لا يدعو إلى الكفر،

فلو دعا إلى الكفر لانتقض عهده، فهو مستسلم تحت حكم الإسلام ويدفع الجزية التي فيها الذّلّة والصغار، فهذا يُترك، والشيخ الكبير، والصبي، والأطفال، والنساء، الذين لا يتعدى كفرهم إلى غيرهم، والرهبان الذين تركوا الناس وانعزلوا في صوامعهم للعبادة، هؤلاء لا يُقتلون أيضاً.

دَلّ هذا على أن دين الإسلام ليس دين قتل وسفك دماء، وإنما هو دين رحمة وعدل، يريد أن يُخرِج الناس من الظلمات إلى النور لصالحهم هم، وكَمْ حَصَلَ في الجهاد مِنْ منافع للناس، فالذين أسلموا مِنَ الكفار مِنَ الأعاجم أنقذهم الله من النار، لو تُرِكُوا لصاروا من أهل النار، فأسلموا وحسن إسلامهم وخرج منهم العلماء الأفذاذ، فهذه ثمرات الجهاد في سبيل الله ﷻ، فالجهاد هو ذروة سَنَام الإسلام، ولكن الجهاد له شروط:

الشرط الأول: أن يكون بالمسلمين قوة يقوون بها على جهاد الكفار، أي: عندهم عُدّة واستعداد لجهاد الكفار، فإذا لم يكونوا على استعداد؛ كأن يكون فيهم ضعف والكفارُ أقوى منهم، فلو قاتل المسلمون الكفار لأبيدت خضراء المسلمين، فلا يجوز القتال في هذه الحالة؛ لأن هذا يلزم عليه مفسدة أكبر من المصلحة، وهي تسلط الكفار على المسلمين؛ ولهذا فالنبي ﷺ بقي في مكة ثلاثة عشر عاماً مقتصراً على الدعوة إلى الله، والمسلمون يُؤْذَوْن ويُضايَقُون ولم يُؤمَر بالجهاد، بل الله أمرهم بالصبر وكفّ الأيدي حتى يأذن الله ـ جلّ وعلا ـ لهم بالجهاد: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧]، هذا في مكة، أُمروا بكفّ أيديهم، ولكن مع هذا يقومون بالدعوة إلى الله ﷻ، فلمّا هاجر النبي ﷺ إلى المدينة،

وانتشر الإسلام وكان بالمسلمين قوة أمره الله بالجهاد؛ لأنهم صاروا أقوياء ومستعدين للجهاد، وهذا ليس خاصاً بالوقت الأول، هذا عام للمسلمين إلى آخر الزمان، إن كان عندهم قوة واستطاعة يجب عليهم الدعوة والجهاد، وإذا كان ليس عندهم قوة فيبقون على الدعوة، وأما الجهاد فيؤجِّلونه إلى وقت القدرة على ذلك؛ لأنهم لو قاتلوا وهم ضعفاء لتسلّط عليهم الكفار وتغلبوا عليهم.

الشرط الثاني: أن يكون الجهاد تحت راية يعقدها ولي أمر المسلمين، وليس كُلٌّ يُجاهد، وكُلٌّ يُقاتل، وكُلٌّ يُكَوِّنُ له جماعة، هذا لا يجوز في الإسلام، هذا ضررٌ على المسلمين أنفسهم قَبْلَ أن يَضرّوا الكفار؛ لأن المسلمين يتناحرون فيما بينهم، كل واحدٍ يُرِيدُ أن يكون هو الذي يظفر بالنتيجة، وجُرب هذا في عصابات قاتلت العدو فلما انهزم العدو واندحر تقاتلوا فيما بينهم، كُلٌّ يريد أن يكون هو الذي يأخذ السلطة، هذا نتيجة أنهم ما قاتلوا تحت راية واحدة وتحت إمام واحد، وإنما تفرقوا إلى عصابات وجماعات، فلا يجوز هذا في الإسلام، لا بد أن يكون الجهاد تحت راية مُوَحَّدة.

ولهذا قال الشيخ: «**وأرى الجهاد ماضياً مع كل إمام**»، أي: إمام للمسلمين يقودهم وينظمهم، ويشرف عليهم، ويُعدُّ العدة ويُسَلّحهم، لا بد أن يكون الجهاد تحت راية الإمام وبأمره حتى ينجح الجهاد، أما إذا كان بدون إمام وبدون راية فإنه يؤول إلى الفشل في النهاية، فقوله: «**مع كلّ إمام**»، دل على أنه يُشترط وجود الإمام الذي يُقاتَلُ تحت رايته.

ولا يُشترط في الإمام أن يكون بارّاً مائة بالمائة مثل: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز والصحابة، لا يُشترط أن يكون الإمام صافياً ليس فيه نقص، بل ولو كان فاجراً، يعني: فاسقاً،

فسقه لم يصل إلى حد الكفر، فإذا بقيت إمامته فإنه يبقى له صلاحية الجهاد ويُطاع في الجهاد، ويُصلّى خلفه؛ لأنه مسلم، ولو كان عاصياً، ولو كان فاسقاً، ولو كان جائراً وظالماً؛ لأن المصلحة في الجماعة أرجح من المصلحة في التفرق عليه والاختلاف عليه.

هذه مسألة عظيمة يغفل عنها كثير من الحماسيين الذين ليس عندهم فقه في الدين، يقولون: كيف نطيعه وهو فاسق وهو عاصٍ؟ الجواب: نطيعه للمصلحة العامة، وارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما مطلوب في الإسلام، ودرءُ المفاسد مقدمٌ على جلب المصالح، والمسلمون قاتلوا مع الحجّاج ومع يزيد بن معاوية وهم فُسّاق، لجمع الكلمة، بل كان هناك صحابة في راية يزيد بن معاوية في غزو القسطنطينية، منهم أبو أيوب الأنصاري ﷺ. وقاتلوا مع الحجّاج وهو معروف بالظلم، فهو ظالمٌ فاتك باطش؛ لكن لأجل مصلحة الإسلام والمسلمين، وتُغتفر المسألة الجزئية في مقابل المصلحةِ العامة الكلية، هذه قاعدة في الإسلام.

فلا يُشترط في الإمام الذي يتولى أمور المسلمين ويقودهم للجهاد أن يكون صالحاً مستقيماً مائة بالمائة، بل ولو كان عنده شيء من المعاصي والمخالفات ما دام لم يصل إلى حدّ الكفر بالله ﷻ، ولكن الجهّال المتحمسين لا يتحمّلون هذا الكلام؛ لأنهم جهّال، والصحابة تحمّلوه وأطاعوا الرسول ﷺ في ذلك لفقههم وإيمانهم، أما الجهّال المتحمسون فلا يتحمّلون هذا، والمغرضون أيضاً لا يتحمّلون هذا، فهم أناس قد يكونون ليسوا بجهّال يعرفون هذا، لكنهم مغرضون يريدون تشتيت المسلمين، فيحرّضونهم على ولاتهم بسبب أن الولاة يرتكبون أشياء من الأخطاء، وذلك لأجل تفريق الكلمة وإضعاف المسلمين،

فيجب الفطنة لهذه الأمور والحذر منها وعدم الاندفاع بدون فقه وبدون علم.

هذه مسألة عظيمة، الآن حصل فيها سوء فهم، وحصل فيها تضليل بسبب الجهل أو بسبب الهوى.

وقوله: **«برّاً»** وهو: الصالح المستقيم، **«أو فاجراً»** يعني: فاسقاً ولكن لم يصل إلى حدّ الكفر؛ لأن المصلحة في طاعته والجهاد معه أرجح من المفسدة في الصبر على فسقه وعلى مخالفته.

وقوله: **«وصلاة الجماعة خلفهم جائزة»**، لا شك أن صلاة الجماعة خلف الأئمة الفساق جائزة وصحيحة، ما داموا يصلّون فصلٌ خلفهم، فقد صلّى الصحابة خلف الحجاج، وصلوا خلف عبيد الله بن زياد، وصلّوا خلف الأمراء الفسّاق الذين يشربون الخمر، وكذلك خلف الوليد بن عقبة، صلّوا خلفهم لأجل جمع الكلمة، وهؤلاء مسلمون تصحّ صلاتهم، وما دامت تصحّ صلاتهم فتصحّ إمامتهم جمعاً للكلمة.

* * *

والجهادُ ماضٍ منذ بَعَثَ اللهُ محمداً ﷺ إلى أن يُقَاتِلَ آخر هذه الأمة الدَّجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل.

الدَّجال: هو المسيح الدَّجال الكذَّاب، سُمي بالدجال لكثرة الدجل عنده والكذب، وما عنده من الفتنة الشديدة، وكلّ نبيّ حذّر أمته فتنة المسيح الدجال، وأشدهم تحذيراً نبينا محمد ﷺ؛ لأنه أقرب الناس إلى خروجه، وهو يخرج في آخر الزمان، يخرج في اليهود، وَتَجَمُّع اليهود في فلسطين الآن هذا إرهاص لخروج الدجال؛ لأنه يخرج في اليهود قبحهم الله.

ويحصل منه فتنة عظيمة ويدور في البلاد، وما مِنْ بلد إلا يدخله إلا مكة والمدينة، فإنه لا يدخلهما، ولكنّ الأشرار الذين في مكة والمدينة يخرجون إليه، ولا يبقى فيهما إلا أهلُ الإيمان؛ لأنَّ المدينة إذا جاء الدجال ترجف فيخرج منها كل منافق، ولا يبقى فيها إلا أهل الإيمان الصادق.

ثم ينزل عيسى بن مريم مسيح الهداية ﷺ، ينزل من السماء، ثم يطلب الدجال فيقتله في باب لُدٍّ في فلسطين، يقتله وينصر الله الإسلام والمسلمين، ويحكم المسيح بن مريم بدين الإسلام، بدين محمد ﷺ، ويَقْوَى الإسلام في عهده عليه الصلاة والسلام، ثم بينما هم كذلك إذ ظهرت يأجوج ومأجوج الذين ذكر الله ﷻ، فيأمر اللهُ عيسى أنْ يُحَرِّز المسلمين إلى الطور، ويقول: «**إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد في قتالهم فحَرِّز عبادي إلى الطور**»[1]، فيعيثون في الأرض فساداً

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان ﷺ.

ويذبحون في المسلمين مذابح، ثم يُنزل الله بهم المرض فيقتلهم عن آخرهم ويموتون عن آخرهم، فيفرج الله للمسلمين بذلك، هذه قصة خروج الدجال باختصار، فنحن نؤمن بخروج المسيح الدجال.

وهناك كُتّاب جهال يقولون: لا يوجد دجّال، وإنما هذا عبارة عن كثرة الكذب في آخر الزمان، وليس هناك نزول عيسى، وإنما هذا عبارة عن ظهور الحق. وهذا إنكار للمتواتر من سنّة رسول الله ﷺ، بل إن القرآن دل على نزول عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]، هذا دليل على أنه ينزل في آخر الزمان، واليهود الذين كفروا به في الأول يؤمنون به، ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾، وفي الآية الأخرى قال في عيسى عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١]، يعني: أن نزوله في آخر الزمان علامة على قرب قيام الساعة، وفي قراءة: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ﴾[1]، فنزول عيسى بن مريم من السماء علامة على قرب قيام الساعة، فهو من علامات الساعة وأشراطها.

فقوله: «إلى أن يُقاتل آخر هذه الأمة الدّجّال»، فيُقاتلونه ويُقاتلون اليهود وتصير ملاحم بين المسلمين واليهود، وينصر الله المسلمين، حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله. فيقتلون اليهود مقتلة عظيمة، وينصر الله المسلمين عليهم.

وقوله: «لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل»، يعني: أن الجهاد لا يبطله جور جائر، فلا أحد يمنع الجهاد، ويقول: ليس فيه جهاد والإسلام ليس دين قتال. والآن يقولون هذا، يقولون: الإسلام ليس

---

(١) قرأ بها ابن عباس وقتادة والضحاك. انظر: «تفسير الطبري» (٢٥/ ٩٠ ـ ٩١).

دين جهاد ولا دين سفك دماء، نقول: نعم، الإسلام ما هو بدين سفك دماء، ولكنه دين جهاد لا لأجل سفك الدماء وإنما لأجل مصلحة البشرية، والله ـ جلّ وعلا ـ يقول في حقّ نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فَمِنْ رحمة الله بالعالمين أن شرع الجهاد لإنقاذهم من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، فنحنُ لا نقاتل الكفار طمعاً في أموالهم أو في دمائهم أو في بلادهم، وإنما نقاتلهم لنشر الإسلام ولصالحهم، فدخولهم في الإسلام من مصلحتهم هم؛ ليموتوا على الإسلام ويدخلوا الجنة، ولكن لو تُركوا وماتوا على الكفر دخلوا النار، فالجهاد هو لمصلحة الكفار أكثر؛ لأنه إنقاذٌ لهم من الكفر، ومن النار، ومن الجهل، ومن الضلال، ترون ثمرات الجهاد في المشرق والمغرب ماذا أنتج من الخير، ماذا أنتج من نشر العلم، ومن نشر التوحيد، ومن انتشار الإسلام وقمع الظلم.

وقوله: «**ولا عدل عادل**»، يعني: لا أحد يمنع الجهاد، حتى لو كان المنع من سلطانٍ عادل، فالجهاد لا يسقط، لا نقول: حصل المقصود، فالعدل الآن منتشر والناس في خير. الجهاد ماضٍ بحكم الله سبحانه، ولكن بهذه الشروط:

أولاً: أن يكون بالمسلمين قوة على الجهاد.

ثانياً: أن يكون الجهاد تحت راية ولي الأمر الموحدة، ينظمهم ويساعدهم ويكون ردءاً لهم يرجعون إليه.

ثالثاً: أن يكون الجهاد لإعلاء كلمة الله، وليس من أجل طمع الدنيا أو الظهور في الأرض.

* * *

وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمّة المسلمين برّهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته، وحَرُمَ الخروج عليه.

من أصول العقيدة: السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، بعد أنْ أَمَرَ بطاعته وطاعة رسوله أمر بطاعة ولاة الأمور من المسلمين، وقوله: ﴿مِنكُمۡ﴾ يعني: من المسلمين، أما إذا لم يكن مسلماً فلا طاعة له، فيُشترط فيه أن يكون مسلماً، وعندئذٍ تكون طاعته واجبة، والخروج عليه معصية محرّمة، هذا أصل من أصول الإسلام وبه تجتمع كلمة المسلمين وتقوى شوكتهم.

والنبي ﷺ لما طلب منه أصحابه الوصية، حيث شعروا بقرب أجله فطلبوا منه الوصية، قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد**»[(١)]؛ لأن النظر ليس لشخصه، وإنما النظر لمنصبه، العبرة بمنصبه لا بشخصه: «**وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً**»، فطاعة وليّ الأمر عصمة من الاختلاف؛ ولهذا لما سأل حذيفةُ بنُ اليمان رسولَ الله ﷺ عن الفتن عند ظهورها قال له: «**ما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: أن تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»[(٢)]، فأمر حذيفةَ عِنْدَ ظهور الفتن أن يلزم جماعة المسلمين

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٢٦/٤ رقم ١٧١٤٤) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

وإمامهم؛ لأنه عصمة من الفتن وعصمة من الاختلاف، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)﴾ [آل عمران: ١٠٥] فالاختلاف شرّ والاتفاق رحمة.

فقوله: «برّهم وفاجرهم»؛ كما مر معنا لا يُشترط في ولي أمر المسلمين أن يكون صالحاً مائة بالمائة ـ كالخلفاء الراشدين ـ بل تجب طاعته ولو كان عنده شيء من المخالفات والمعاصي التي لا تصل إلى حدّ الكفر والخروج من الدين، ففساده عليه، ولكن إمامته لصالح المسلمين.

ولما سُئل بعض الأئمة قيل له: فلان تقي لكنه ضعيف، وفلان فاسق ولكنه قوي؛ أيهما يصلح للإمامة؟ قال: الفاسق القوي؛ لأن الصالح الضعيف صلاحه لنفسه، وضعفه يضر المسلمين، والفاسق فسقه على نفسه، وقوته للمسلمين.

وقوله: «برّهم وفاجرهم»، هذا خلاف الخوارج والمعتزلة الذي يخرجون على الأئمة الفجّار، يعني: الأئمة العصاة، يُراد بالفجار هنا: العصاة.

وقوله: «ما لم يامروا بمعصية الله»، فتجب طاعتهم، فإذا أمروا بمعصية، «**فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[(١)]، لكن لا تنخلع بيعتهم إذا أمروا بمعصية، ولا نطيعهم في هذا، لكن تبقى طاعتهم فيما

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» من حديث علي رضي الله عنه (١/١٣١ رقم ١٠٩٥)، ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه (١/٤٠٩ رقم ٣٨٨٩)، ومن حديث عمران بن حصين رضي الله عنه (٥/٦٦ رقم ٢٠٦٥٣)، وعند مسلم (١٨٤٠)، وأبي داود (٢٦٢٥) من حديث علي رضي الله عنه بلفظ: «**لا طاعة في معصية الله**»، في قصة السرية التي أمرهم أميرها أن يدخلوا النار.

هو معروف وليس فيه معصية، نخالفهم في المعصية ونطيعهم في غير المعصية.

وقوله: «ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته»، هذا فيما تنعقد به الإمامة.

قالوا: تنعقد الخلافة بأحد ثلاثة أمور:

الأمر الأول: اختيار أهل الحلّ والعقد له، فإذا اختاره أهل الحل والعقد وبايعوه لزمت طاعته؛ كخلافة أبي بكر الصديق ﷺ فإنها ثبتت باختيار أهل الحلّ والعقد، وليس بلازم أن يختاره كل المسلمين كما في الانتخابات، هذا ليس في نظام الإسلام، بل يكفي أهل الحل والعقد من العلماء والأمراء وأهل الرأي والمشورة، فإذا اختاروا إماماً للمسلمين لزمت طاعته على جميع المسلمين، ولا أحد يقول: أنا ما اخترت، أنا ما بايعت؛ كما يقول بعض الجهّال الآن.

أنت من المسلمين، والمسلمون اختاروا هذا الرجل إماماً لهم، فلا يجوز لك أن تشذّ وتخرج منهم، بل قال النبي ﷺ: **«المسلمون يدٌ على من سواهم، يسعى بذمّتهم أدناهم»**(١)، وإذا كان أدناهم يسعى بذمّتهم، فكيف بأهل الحلّ والعقد والمشورة والرأي؟ فالصحابة أطاعوا لأبي بكر مع أن الذين بايعوه هم قادة المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة، وكذلك عثمان ﷺ اختاره أهل الشورى الستة الذين عهد إليهم عمر ﷺ، فقد عهد إلى بقية العشرة الذين توفي رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٥٣٠)، والنسائي (٤٧٣٤)، وأحمد في «المسند» (١/١١٩ رقم ٩٥٩) من حديث علي ﷺ.

وأصله في «الصحيحين» من حديث علي بلفظ: **«ذمّة المسلمين يسعى بها أدناهم»**. أخرجه البخاري (٧٣٠٠)، ومسلم (١٣٧٠).

وهو عنهم راضٍ، فالستة اجتمع رأيهم على عثمان فبايعوه، فلزمت طاعته جميع المسلمين وانقادوا له.

الأمر الثاني: ولاية العهد، فإذا عهد ولي الأمر إلى أحد مِنْ بعده تلزم طاعته، وتنعقد إمامته؛ كما عهد أبو بكر لعمر ﷺ فسمعوا له وأطاعوا ﷺ.

الأمر الثالث: إذا كان الناس ليس لهم إمام؛ فقام رجل فيه شجاعة وقوة ورأي وتغلّب على الناس بسيفه حتى خضعوا له، فهذا تلزم طاعته، ويمثلون لهذا بعبد الملك بن مروان، فالناس في عهده كانوا بدون إمام عام، فقام الرجل بشجاعة وشهامة وقوة ورأي فقاتل وتغلب وأطاع له المسلمون، فصار إماماً لهم وانعقدت إمامته بذلك.

أما من يأتي والمسلمون لهم إمام وينازع الإمام ويريد أن يخلع الإمام ليصبح بدلاً عنه، فهذا يجب على المسلمين قتله، قال ﷺ: «**من أتاكم وأمْرُكم جميع على رجل واحد، يريد أن يشقّ عصاكم أو يفرّق جماعتكم فاقتلوه كائناً من كان**»[1]، فنحن مع وليّ الأمر، إذا قام عليه أحد فنحنُ معه في دفع هذا الخارج على جماعة المسلمين، نقاتله وندحض شرّه عن المسلمين؛ لئلا يُفكّك الكلمة، وذلك للمصلحة العامة.

هذا هو اعتقاد الشيخ في السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، وفي هذا ردٌّ على الذين يصفونه بالخروج على الولاة.

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢) من حديث عرفجة ﷺ.

وأرى هَجْر أهل البدع ومباينتهم حتّى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر، وأَكِل سرائرهم إلى الله، وأعتقد أن كلّ محدثة في الدين بدعة.

البدع: جمع بدعة، وهي ما أُحدث في الدين من العبادات التي ليس عليها دليل من كتاب أو سنّة؛ لأنّ العبادات توقيفية، فلا نعمل شيئاً منها إلا بدليل من الكتاب والسنة، فمن جاء وأحدث شيئاً يتقرب به إلى الله مِنْ ذكر أو صلاة أو عبادة ويقول: هذا زيادة خير. فيقال له: لا، هذا زيادة شرّ وليس هو زيادة خير؛ لأن الدين كامل لا يقبل الإضافات والزيادات، فقد توفي رسول الله ﷺ والدين كامل، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فالله شهد لهذا الدين بأنه كامل، فلا يقبل الزيادة والإضافات، حسبنا أننا نعمل بما في هذا الدين من العبادات، أما أن نزيد ونقول: هذه زيادة خير؛ فهذه بدعة، وقد قال ﷺ: **«من يعشْ منكم فسيرى اختلافاً كبيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**[1]، وكان في خطبه يقول: **«أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»**[2]، فهذا فيه ردٌّ على الذين يُقَسّمون البدعة إلى حسنة وسيئة، فالبدع في الدين ليس فيها شيء حسن وإنما كلها سيئة؛ لأنّ الرسول ﷺ يقول: **«كلّ بدعة ضلالة»**، وهذا المبتدع يقول: ليس كلّ

---

(١) سبق تخريجه (ص١٢٧).

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

بدعة ضلالة بل منها شيء حسن، فهذا يردّ على الرسول ﷺ.

قال الشاعر:

خيرُ الأمورِ السالفاتُ على الهدى وشرُّ الأمورِ المحدثاتُ البدائع

فالذي يقول: إن هناك بدعة حسنة، يقال له: هذه بدعة ضلالة وشرّ وليست حسنة، ليس في الدين بدعة حسنة أبداً، فنجتنب البدع ونقتصر على السنن، ففيها خير وكمال، ولا يكفي أننا نجتنب البدع، بل نهجر المبتدعة، ولا نجلس معهم، ولا نصادقهم حتى يتركوا البدعة؛ لأننا إذا صادقناهم وجالسناهم شجّعناهم على البدعة، فنحن نهجرهم بمعنى أننا نترك مجالستهم ونترك مصادقتهم حتى يتوبوا إلى الله.

هذا الواجب على أهل السنة، أنهم يهجرون أهل البدع، ولو حصل هذا لما انتشرت البدع، ولكن لما حصل التساهل مع المبتدعة، صاروا يعيثون في الأرض فساداً، وينشرون البدع، ولا يوجد من ينكر عليهم، صاروا أصدقاءنا وجلساءنا وانتشرت البدع بهذه الطريقة، أما لو أن أهل البدع هُجروا لقلّ شرهم.

فقول الشيخ: «وارى هجر اهل البدع ومباينتهم»، الهجْر: هو الترك، يعني: تركهم وعدم الجلوس معهم وعدم مصادقتهم، **«حتى يتوبوا»** فإذا تابوا تاب الله عليهم، وصاروا جلساءنا وأحبابنا.

وقوله: «ولحكم عليهم بالظاهر»، أي: نحكم على الناس بالظاهر لنا، ولا ندري عن القلوب، ولكن من فعل الخير شهدنا له بالخير بناءً على الظاهر، ومن فعل الشر شهدنا له بالشر بناءً على الظاهر، وأما القلوب فلا يعلمها إلا الله.

لكن المرجئة الآن يقولون: من فَعَلَ الكفر أو الشرك أو مُنْكَراً

فإنك لا تحكم عليه بما ظهر منه؛ لأنك لا تدري عن الذي في قلبه.

وقول الشيخ: «**واعتقد ان كلّ محدثة بدعة**»، بخلاف من يقول: إنه هناك مخدثات في الدين فيها خير، بل كلّ محدثة في الدين بدعة، وهذا مأخوذ من حديث: «**كلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»[1].

أما أمور العادات؛ كالملابس والمساكن والمراكب، هذه مما خلق الله لنا ليس فيها بدعة، الأولون ما كانوا يركبون السيارات ونحن نركبها؛ لأنها مما أباح الله لنا، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، فأمور العادات والملابس والمساكن والمراكب والمزارع، هذه كلها من الأمور التي لا تدخل في العبادة بل نستخدمها في العبادة، ونستعين بها على العبادة، ونركب السيارة للحج، ونركبها لطلب العلم، ونركبها للجهاد، ومكبرات الصوت نستخدمها لإلقاء الخطب والمحاضرات، ونستعين بها على العبادة؛ لأنها مما أباح الله لنا أن نستعين بها، وليست بدعاً، إنما هي مما خلق الله لنا، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، فالأصل في هذه الأمور الإباحة، أما العبادات فالأصل فيها الحظر إلا بدليل، أما في العادات والملابس والمراكب والمآكل والمشارب الأصل فيها الإباحة إلا ما دَلَّ الدليل على تحريمه.

* * *

(١) سبق تخريجه (ص١٢٧).

وأعتقد أن الإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقادٌ بالجَنان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهو بضع وسبعون شعبة، أعلاها: شهادة أن لا إلٰه إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق.

هذا شروع في مبحث الإيمان، ولقد تكرر ذكره في القرآن في مواضع كثيرة، ومدح الله أهله ووعدهم بالجنة والثواب العظيم.

والإيمان مرتبة من مراتب الدين؛ لأن الدين ثلاث مراتب؛ كما في حديث جبريل[1]: الإسلام، والإيمان، والإحسان.

فالإسلام: يتكون من خمسة أركان: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام، هذه من الأفعال الظاهرة.

والإيمان: يتكون من ستة أركان بيَّنها النبي ﷺ: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، ولا بد من اجتماعهما في العبد، أي: لا بد من اجتماع الإيمان والإسلام في العبد، فيكون مُسلماً مؤمناً، مُسلماً في ظاهره يؤدي أركان الإسلام، ومؤمناً في باطنه يؤمن بهذه الأركان الستة، فلا يكون مسلماً فقط، وليس عنده إيمان، فهذا شأن المنافقين الذين يُظهرون الإسلام في الظاهر، فيصلّون ويصومون ويقولون: لا إله إلا الله، ويحجّون، ولكن ليس عندهم إيمان في القلب: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وهؤلاء في الدركِ الأسفل من النار، وكذلك

---

(١) سبق تخريجه (ص١٨).

العكس، لا يكون مؤمناً بدون الإسلام، مُصدّقاً ومؤمناً بهذه الأركان بقلبه لكن ليس عنده إسلام فلا يصلي ولا يزكي ولا يصوم ولا يحج، هذا ليس بمؤمن حتى يكون مسلماً يؤدي الأركان الظاهرة والباطنة، فلا بد من هذا، فالإيمان مجموع اعتقاد القلب وعمل الجوارح ونطق اللسان.

ولهذا يقول أهل السنة والجماعة ـ كما ذكره الشيخ هنا ـ: أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل الجوارح، لا بد من هذه الأمور الثلاثة: نطق باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، هذا تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة الذين هم على سُنّة الرسول ﷺ، والذين هم الفرقة الناجية من بين الفرق الضالّة التي توعّدها الله بالنار، هذا الإيمان عندهم يتكون من هذه الأمور الثلاثة.

أما المرجئة فيقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، والأعمال لا تدخل فيه. وبعضهم يقول: شرط كمال. وبعضهم يقول: شرط وجوب، ولكنها لا تدخل في حقيقة الإيمان، فإذا كان مصدقاً بقلبه فهذا مؤمن ولو لم يؤد الأعمال، وهذا مذهب باطل؛ لأن المشركين كانوا يعرفون بقلوبهم صحة ما جاء به الرسول ﷺ، ولكن أبَوْا أن ينطقوا بلا إله إلا الله، أبَوْا أن يقولوا: لا إله إلا الله. وأبَوْا أن يصلّوا وأن يصوموا، ويزكّوا، ويحجّوا، قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣]، ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ معنى هذا أنهم يصدقون الرسول ﷺ، ولكن منعهم الكبر، أو الحسد، أو الحميّة لدينهم مِنْ أن يأتوا بلا إله إلا الله، وأن يصلّوا، ويصوموا، ويزكّوا، والحجّ يحجون

ويعتمرون وهو من البقايا الباقية من دين إبراهيم، ولكن ليس عندهم غيره، مقرون بالشرك، فيقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، يلبون بالشرك، ولهذا لبّى النبيّ ﷺ بالتوحيد، فقال: **«لبيك لا شريك لك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»**[1]، نفى الشرك وهم يقولون: لله شريك، وهم مَنْ يعبدونهم من دون الله، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وسائط بيننا وبين الله، هذا في الحجّ، أما الصلاة فلا يصلّون، ولا يزكّون، ولا يصومون، ولا يقولون: لا إله إلا الله، وهم في قلوبهم يعتقدون أنه رسول الله، يصدقونه ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾.

اليهود والنصارى أيضاً يصدقون أنه رسول الله: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، فهم يعترفون أنه رسول الله بقلوبهم، ولكن أَبَوْا أن ينطقوا بألسنتهم وأَبَوْا أن يتبعوه، فلم يكن التصديق بالقلوب كافياً كما تقوله المرجئة.

وليس هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان فقط؛ كما تقوله طائفة من المرجئة، وهم مرجئة الفقهاء، يقولون: الإيمان هو قول باللسان واعتقاد بالقلب، ولو لم يعمل. فيُلْغُون العمل، ولا يُدْخِلونه في الإيمان، جاؤوا باثنين وتركوا الثالث، قالوا: إن العمل ليس بضروري ما دام أنه ينطق ويعتقد فيكفي هذا، وهذا مذهب باطل أيضاً، لا بد من الأعمال، والله دائماً يقرن الإيمان بالعمل ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٤٩)، ومسلم (١١٨٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، ما قال: ﴿ءَامَنُوا﴾ فقط، بل قال: ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فلا يكون إيمان إلا بعمل، فالإرجاء مذهب باطل بجميع أقسامه.

والأشاعرة جاؤوا بواحد وتركوا اثنين، فيقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب ولو لم ينطق بلسانه، فمن صدّق بقلبه فهو مؤمن حتى ولو ما يتكلم.

والحق هو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو مأخوذ من الكتاب والسنة، أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

وقوله: «يزيد بالطاعة»، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤] دلّ على أن الإيمان يزيد، وأهل الضلال يقولون: لا يزيد بل هو شيء واحد في القلب. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤] فذكر الأعمال، وحصر الإيمان في هؤلاء ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، ذكر أقوالاً، وذكر أعمالاً: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ووجل القلوب، هذا هو الإيمان، فدل على أنه يزيد بالطاعة، فيزيد بالصلاة، ويزيد بالزكاة، ويزيد بتلاوة القرآن، فهو يزيد، وقال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، دلّ على أن الإيمان يزيد وكذلك ينقص، بدليل أن النبي ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»[1]، فدل على أن الإيمان له أعلى وله

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أدنى، وقال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[1]، دلّ على أن الإيمان يضعف وينقص، وفي الحديث: «**انطلق، فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار**»[2]، فدل على أن الإيمان ينقص حتى يكون مثل حبة الخردل، فالناس ليسوا سواء في الإيمان، بعضهم أقوى إيماناً من بعض.

المرجئة يقولون: أهله في أصله سواء. ويقولون: لا فرق بين إيمان أبي بكر الصديق وإيمان الفاسق من الناس، كلهم مؤمنون.

أما أهل السنة فيقولون: هذا إيمانه يعدل الجبال، وهذا إيمانه يعدل مثقال ذرة أو حبّة من خردل، لا يُسَوَّى بينهم.

هذا معنى قولهم: يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كلما أطاع المسلم ربه ازداد إيماناً، وكلما مال عصى ربه نقص إيمانه، هذا هو المذهب الحق، وهذا هو تعريف الإيمان التعريف الصحيح.

* * *

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٨).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٨).

وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة.

ويرى الشيخ كغيره من أهل السنة والجماعة «**وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**»، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وغير ذلك من الآيات.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١]، فجعل من صفاتهم أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر هذا من المنافقين، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]، فهم بالعكس، وها هم الآن يأمرون بالمنكر، بل يأمرون بكلّ منكر، ويدعون إليه، ويدعون المسلمين إلى أن يتخلوا عن دينهم، ويُسَمّون التّمسّك بالدين تشدّداً وغُلُوّاً، فيقولون: لا بد أن يَترك المسلمون هذا، ولا بد أن تتمرد النساء ويتركن الحجاب، اتركوا الولاء والبراء واجعلوا الناس سواء ما بينهم فرق. هذا أمر بالمنكر، هم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف دائماً وأبداً، عكس المؤمنين فإنهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الدين، ولا بد منه في الإسلام، فإذا وُجِد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا علامة نجاة الأمّة، وإذا فُقِد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا

علامة هلاك الأمة، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود: ١١٦]، قليلٌ هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأنجاهم الله من العذاب، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥]، فلا ينجو إلا أهلُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما من لم يأمر بالمعروف وينهَ عن المنكر فهو إما منافق ليس في قلبه إيمان، وإما مؤمن ضعيف الإيمان، وإذا هلك أهل المنكر يهلك معهم؛ لأنه لم يأمر بالمعروف وينهَ عن المنكر بحسب استطاعته؛ ولهذا قال ﷺ: «**فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١)، وفي رواية: «**وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»(٢)، فدلّ على أن الذي لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر هذا هالك مع الهالكين، فلا بدّ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا تحصل النجاة إلا بوجود هذا الأمر، فإذا فُقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حقّ على الناس الهلاك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقول الشيخ: «**على ما توجبه الشريعة**»، هذا ردٌّ لقول الخوارج والمعتزلة: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الخروج على ولاة الأمور، وشقّ عصا الطاعة، وتفريق الجماعة، وسفك الدماء، بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا لا توجبه الشريعة، بل تنهى عنه الشريعة، وليس هذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهم يُسَمّون الخروج على ولاة الأمور، وشق عصا الطاعة، واستباحة

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (٥٠) من حديث ابن مسعود ﷺ.

دماء المسلمين وتكفيرهم، يُسَمّون هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا انحراف في هذا المسمى العظيم، ولهذا يقول الشيخ وغيره من أهل السنة: «**على ما توجبه الشريعة**»؛ كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»[1]؛ لأجل ألا يُعتقد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما اعتقده الخوارج والمعتزلة، الذين يُكَفِّرون مرتكب الكبيرة من المؤمنين، ويُسَمّون هذا من إنكار المنكر، وهذا خلاف ما توجبه الشريعة، وهو غُلُوّ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فيجب التنبه لهذا، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-هو كما قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه**»، هذه كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب الاستطاعة، فإذا لم تستطع، فأنت لست مكلفاً بذلك، إلا أنك لا بد أن تنكره بقلبك، وتعتزل أهله وتبتعد عنهم.

أما الذين يحملون السلاح في وجوه المسلمين، ويقولون: هذا هو الأمر المعروف والنهي عن المنكر. فهذا مذهب الخوارج ومذهب المعتزلة أهل الضلال.

فهذا هو القيد الذي أراده أهل العلم بقولهم: «**على ما توجبه الشريعة**».

* * *

(١) انظر: «العقيدة الواسطية» (ص٤٧).

فهذه عقيدة وجيزة حرَّرتها وأنا مشتغل البال، لتطّلعوا على ما عندي، والله على ما نقول وكيل، ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم، قد وصلت إليكم، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم.

يُخاطب أهل القصيم الذين سألوه عن عقيدته، يقول: «**هذه عقيدة وجيزة حرَّرتها وأنا مشتغل البال**»؛ لأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشغول بأعماله الجليلة في الدعوة والتعليم، وأمور عظيمة قام بها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو كتب هذا المختصر جواباً على سؤالهم، وبَسْطُه موجود في كتب العقيدة المبسوطة؛ كالعقيدة الواسطية، والعقيدة الطحاوية وشرحها.

وقوله: «**لتطّلعوا على ما عندي**»؛ لأنه اتُّهم بأشياء، ورُمي بأشياء هو منها بريء، فهو بيَّن عقيدته ليردّ على خصومه، ويكذبهم فيما يقولون عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقوله: «**والله على ما نقول وكيل**»، يُشهد الله على ذلك، وهذا من صدقه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما أنه في بداية هذه العقيدة أشهد الله وملائكته ومن حضره من المؤمنين على ما تضمنته.

وقوله: «**ثم لا يخفى عليكم انه بلغني ان رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم**»، لما ذكر عقيدته، أراد أن يرد على من اتهموه بتهم هو منها بريء، وهذه التهم لا يسلم منها نبيّ ولا أتباع الأنبياء، كلهم يُتّهمون إذا دَعوا إلى الله، وأنكروا ما عليه أهل الباطل، تُوجّه إليهم التهم، بأنهم يريدون الملك، يريدون الرئاسة، يريدون الأموال، يريدون الرياء والسمعة، وأنهم سحرة، وأنهم مجانين، وأنهم يريدون كذا وكذا؛ كما هو مذكور في القرآن من أقوال الكفار في اتهام الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام، خصوصاً نبينا محمداً ﷺ، اتهموه بأنه شاعر، وأنه مجنون، وأنه مُعَلَّمٌ، وأنه كذاب، وأنه يريد الترأس على الناس، فكيف بمن دونه من أهل العلم؟ مثل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لما دعا إلى دعوة الرسول ﷺ اتهموه، وكذبوا عليه وافتروا عليه، وأكاذيبهم مدوَّنة، ومردود عليها ـ ولله الحمد ـ في كتب ورسائل تتضمنها «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»، وتضمنتها كتب مستقلة مثل: «مصباح الظلام فيمن كذب على الشيخ الإمام واتهمه بتكفير أهل الإسلام» للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن ﷺ، والرد على داود بن جرجيس العراقي فيما كتب من الباطل، والرد على دحلان في كتاب اسمه: «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان».

ودحلان هذا هو مفتي أهل مكة، وكان خرافياً أتى بِشُبَهٍ على دعوة الشيخ، وصار يكذب عليه، وألّف كتاباً سماه: «الدرر السنية في الرد على الوهابية»، وذكر فيها افتراءات على الشيخ، فردّ عليه عالم من علماء الهند هو محمد بشير السهسواني ﷺ بكتاب سماه: «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان»، وهو مطبوع موجود، ومثل كتاب: «غاية الأماني في الرد على النبهاني» للشيخ محمود شكري الآلوسي.

ومن افتراءات دحلان يقول: إن ابن عبد الوهاب كان يضمر يريد أن يدعي النبوة، لكن لما رأى أن الناس لن يصدقوه كتم هذه الفكرة، وإلا فهي في نفسه[1]. فكأن دحلان يعلم ما في القلوب، ويعلم الغيب، إلى غير ذلك من الافتراءات المضحكة، فليس الشيخ هو الوحيد الذي اتُهم وشُبه على دعوته، إذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام تناولهم شيء من الاتهامات، فأتباعهم من باب أولى، قال تعالى لنبيه: ﴿مَّا يُقَالُ

---

(١) انظر: «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» (ص٥١٢).

لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [فصلت: ٤٣].

وقوله: «سليمان بن سحيم»، هذا من خصوم الشيخ في وقته، وهو مطوّع معكال، حارة في الرياض معروفة بهذا الاسم إلى الآن، كان يجتمع في هذه الحارة أناس من الخرافيين ومنهم هذا، كذب على الشيخ وكتب رسالة تُضحك الناس في الاتهامات والكذب، والشيخ رد على افتراءاتَ ابن سحيم في رسالة موجودة في رسائل الشيخ، وأشار إليها هنا.

وهذه إشارة فقط، وإلا فالرد المفصّل في رسالة مستقلة على سليمان بن سحيم، كتب إليه: «من محمد بن عبد الوهاب إلى سليمان بن سحيم، أما بعد: فقد بلغني أنك تقول كذا وتقول كذا..» وكل فرية يرد عليها(١).

وقوله: «قد وصلت إليكم»، يعني: كأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ يستشف أن سؤال أهل القصيم له عن عقيدته سببها رسالة ابن سحيم، فهم لما جاءتهم رسالة ابن سحيم كتبوا إلى الشيخ يسألونه عن عقيدته، وهذا هو الواجب، فالواجب التثبت، فهم أحسنوا صنعاً في هذا، إذا بلغك عن شخص أنه يقول كذا ويقول كذا، فالواجب أنك تتثبت، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، يعني: تثبتوا ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

فليت طلبة العلم الآن والشباب ينتهجون هذا المنهج، ويتثبتون

---

(١) انظر: «مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، المجلد السابع، الرسائل الشخصية، الرسالة الثالثة عشر (ص٨٨)، والرسالة الرابعة والثلاثون (ص٢٢٦).

ويتركون هذا التحارش بينهم، وهذا التراشق بينهم؛ لأنهم إخوان وطلبة علم، عقيدتهم ولله الحمد واحدة، فلو يتركون هذا التراشق وهذه الاتهامات ويتثبتون فيما بينهم، وإذا ثبت شيء مما قيل يتناصحون فيما بينهم ولا يتخذونه تشهيراً أو اتهامات وتراشق بالكلام، هذا لا يجوز أبداً، فالواجب التثبت، فإذا ثبت فإنه يُناصح مَنْ ثبت عليه الخطأ والمخالفة؛ لأن الإنسان ليس معصوماً.

هناك شخص آخر اسمه عبد الله بن سحيم[1] من تلاميذ الشيخ وهو رجل طيب، فلا يشتبه عليكم عبد الله بن سحيم بسليمان بن سحيم.

* * *

---

(١) وهو مطوّع أهل المجمعة. انظر: «مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، المجلد السابع، الرسائل الشخصية، الرسالة الحادية عشر (ص٦٢)، والرسالة العشرون (ص١٣٠)، و«الدرر السنية» (٢/ ٣٩)، (٣/ ٥).

والله يعلم أن الرجل افترى عليَّ أموراً لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي، فمنها:

قوله: إني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وإني أقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء.

هل صحيح أن الشيخ يبطل كتب المذاهب الأربعة؟ هذا من أعظم الكذب، الشيخ تتلمذ على مذهب الحنابلة، ولا يجمد على مذهب الحنابلة بل يأخذ ما يقوم عليه الدليل من مذهب الشافعي أو مذهب مالك أو مذهب أبي حنيفة، هذا منهج الشيخ، هو في الأصل على مذهب الإمام أحمد، ولكن في الإفتاء يأخذ ما ترجح بالدليل سواءً من مذهب الإمام أحمد أو من غيره، لا يتعصب وإنما يريد الحق، هذا منهجه في الفتوى والتعليم، يأخذ بما ترجح بالدليل من أي مذهب من المذاهب الأربعة، لكنه لا يخرج عن المذاهب الأربعة.

فقول ابن سحيم: إن الشيخ **«مبطل كتب المذاهب الأربعة»**. هذه كذب؛ لأنه رحمه الله ما خرج عن المذاهب الأربعة، بل هو يستفيد منها ويُفتي بما ترجّح بالدليل منها، سواءً وافق مذهبه الحنبلي أو لم يوافقه؛ لأنه يريد الحق.

وقوله: «إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء»، يعني: أنه يُكَفِّر الناس، هذا من افتراءات ابن سحيم أن الشيخ يُكفِّر الناس، لماذا يُكفِّر الناس؟ لأنه يدعو إلى التوحيد، وينهى عن الشرك، فهو بهذا ـ يزعمون ـ أنه يكفِّر الناس، وهو إنما يدعو إلى التوحيد وينهى عن الشرك، وما كَفّر الناس، هو ما كَفّر إلا من ثبت كفره بالدليل من الكتاب والسنة، كما جاء في النواقض العشرة التي كتبها.

وإني أدعي الاجتهاد، وإني خارج عن التقليد.

«**وإني ادعي الاجتهاد**»، يعني: يقولون عنه أنه يدعي أنه مستقل في الاجتهاد، يضاهي الأئمة الأربعة، وهذا كذب، فالشيخ حنبلي، ولكنه لا يتعصب لمذهب إمامه، وإنما يأخذ ما ترجح بالدليل ولو كان في غير مذهب إمامه؛ لأنه يريد الحق، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وغيرهما من المحققين، فهم لا يتعصبون وإنما يأخذون بما قام عليه الدليل، لكن لا يخرجون عن المذاهب الأربعة التي هي مذاهب الأئمة، التي دُرست وعُرفت وحُررت، وتوارثها المسلمون جيلاً بعد جيل، فهو لا يدعي الاجتهاد المطلق، يعني: لا يدعي أنه في مصاف الأئمة الكبار: كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والأوزاعي، ولكنهم يكذبون عليه.

قوله: «**خارج عن التقليد**» وهو قبول قول العالم بدون معرفة دليله، والتقليد على قسمين:

الأول: تقليد أعمى بأن يُتعصب لقول العالم ولو كان مخالفاً للدليل، فهذا يخرج عليه الشيخ محمد وغيره.

الثاني: التقليد بالحق، كأنْ تأخذ قول العالِم إذا وافق الدليل، فهذا تقليد بحق، وهذا اتباع لأهل الحق، يسمونه تقليداً، أو يسمونه اتباعاً، فالمعنى واحد، يوسف ﷺ يقول: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨]، هذا اتباع بالحق، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فهذا يُسمى اتباعاً، فمن كان على الحق، فنحن نتبعه.

* * *

وإني أقول: إن اختلاف العلماء نقمة.

هذا كذب على الشيخ؛ لأن اختلاف العلماء في أمور الفروع والاجتهاد ليس نقمة، العلماء اجتهدوا وبحثوا، فإن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجرٌ واحد، فالاجتهادُ مطلوب، والاختلاف فيه لا يُذم، فالصحابة ﷺ كانوا يختلفون في الفتوى، كُلٌّ يقول بحسب ما ظهر له من الدليل، فهذا النوع من الاختلاف محمود؛ لأنه بحثٌ عن الحق.

أما الاختلاف المذموم فهو الاختلاف في الحق، فلا يجوز الاختلاف في الحق بعدما تبين، بل يجب أخذ الحق، ولا تجوز مخالفته.

فالاختلاف على قسمين:

الأول: اختلاف مذموم، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، فالتفرق والاختلاف مذمومان، فالذي يسبب الارتباك في الحق، والتعصب للباطل مذموم.

الثاني: الاختلاف الذي يُبحث فيه عن الحق، فهذا محمود، من أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجرٌ واحد، وإذا علمنا أنه أخطأ فنحن لا نأخذ بقوله بل نأخذ بقول مَنْ أصاب، هذا هو المطلوب.

ولهذا الفقهاء يقولون: لا إنكار في مسائل الاجتهاد، مثلاً: تحية المسجد وقت النهي، بعض العلماء يرى أنها تُصلى عملاً بقوله ﷺ: «**إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين**»[1]، قالوا:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٤)، ومسلم (٧١٤) من حديث أبي قتادة السلمي ﷺ.

هذا عام في أوقات النهي وفي غيرها؛ لأنها من ذوات الأسباب. بينما الجمهور يقولون: وقت النهي لا يُصلى فيه، لا تحية المسجد ولا غيرها من النوافل؛ لأن النبي ﷺ نهى عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، ونهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس[١]، فقدموا عموم النهي على عموم الأمر، فمن أخذ بهذا القول فإنه لا يُنْكَر عليه، ومن أخذ بالقول الأول فلا يُنْكر عليه؛ لأنَّ كُلًّا له مستند، وهذه مسائل اجتهادية لا يجوز فيها التعادي، فالصحابة يختلفون ـ وهم إخوة ـ في المسائل الفرعية.

والنبي ﷺ لما رجع من الأحزاب وجهّز الصحابة لغزو يهود بني قريظة، فقال: **«لا يصلين أحدٌ العصر إلا في بني قريظة»**[٢]، بعض الصحابة قال: مقصود الرسول ﷺ المبادرة، وليس المقصود ألّا نصلي إلا عندما نصل بني قريظة. فصلوا في الطريق، والبعض الآخر قالوا: الرسول يقول: **«لا يصلين أحدٌ العصر إلا في بني قريظة»**، فأخَّروا العصر إلى أن وصلوا إلى بني قريظة، فلما سألوا النبي ﷺ لم ينكر على الفريقين؛ لأن كُلَّ واحدٍ منهم له مأخذ من الدليل، فالاجتهاد من هذا النوع لا إنكار فيه، ولا يُقال: إنه نقمة، بل يُقال: إنه اجتهاد وبحث عن الحق.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٥٨٨)، ومسلم (٨٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٩٤٦، ٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠)، ولفظ مسلم: «الظهر» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وإني أُكَفّر من توسل بالصالحين، وإني أكفّر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق، وإني أقول: لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ لهدمتها.

قوله: «إني أكفّر من توسل بالصالحين»، هذا الحكم على الإطلاق ليس بصحيح، فالتوسل فيه تفصيل: إن كان يصرف شيئاً من العبادة لمن يتوسل به؛ كعباد القبور الذين يذبحون للأموات، وينذرون لهم، ويستغيثون بهم، فهذا شرك أكبر؛ لأنه عبادة لغير الله، أما إن كان لا يصرف لهم شيئاً من العبادة، وإنما يتوسل إلى الله بهم، أي: بواسطتهم، فهذه بدعة، وليست كفراً، كالسؤال بالجاه، أو بحق فلان، أو بنبيك، أو بعبدك فلان من غير أن يصرف له شيئاً من العبادة، وإنما جعله واسطة بينه وبين الله في قبول دعائه، فهذه بدعة؛ لأن الله أمرنا بدعائه بدون اتخاذ واسطة بيننا وبينه.

فقولهم: إن الشيخ يُكفّر بالتوسل مطلقاً، هذا كذب؛ لأن الشيخ يُفصل في هذا.

وقوله: «وإني أكفّر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق»، هذه مسألة تكفير المعين؛ كأن الشيخ لا يرى تكفير المعين، والبوصيري كلامه كفر؛ كقوله يخاطب الرسول ﷺ:

يا أكرَمَ الخلقِ ما لي مَنْ ألوذُ بِه ... سواكَ عندَ حلولِ الحادِثِ العَمَمِ
فإنّ مِنْ جُودكَ الدنيا وضَرَّتها ... وَمِنْ عُلومِكَ عِلمُ اللّوحِ والقَلَمِ
إنْ لَمْ تكُنْ في مَعَادِي آخذاً بيدي ... فَضْلاً وإلّا فَقُلْ يا زَلّةَ القَدَمِ
فإنّ لِي ذِمّة منهُ بتسميتي ... محمداً وَهوَ أَوْفَى الخلقِ بالذّمَمِ(١)

---

(١) انظر: «الدرر السنيّة» (١١/ ١٣٢) وما بعدها، و(١١/ ٢٢٢) وما بعدها، و(١١/ ٢٢٩) وما بعدها.

إلى آخر ما قال في «البردة»، وهذا كفر، لكن الشخص قد يكون ما بلغته الحجة، أو يكون متأولاً، فلا يُكَفّر حتى تُقام عليه الحجة، وأيضاً هو لا يعلم ما خُتم له به.

قوله: «وإني أقول: لو أقدر على هدم قبة رسول الله ﷺ لهدمتها»، وهذا من الكذب على الشيخ؛ لأن الرسول ﷺ معلوم أنه دُفن في بيته محافظة عليه من الغُلُوّ، وبيته له جدران، وله سقف، فالسقف موجود من وقت دفنه ﷺ، غاية ما هنالك أنه أُزيل السقف وجُعل على شكل قبة، فالشيخ لا يرى أن هذا منكر، فالرسول ﷺ دُفن في بيته، واستمر ﷺ مقبوراً في بيته حفاظاً عليه من الغلو؛ كما تقول عائشة لما ذكرت نهي الرسول ﷺ عن الغلو في القبور: «**ولولا ذلك لأُبرز قبره، غير أنه خُشي أن يُتخذ مسجداً**»[1]، فدُفن في بيته محافظة عليه من الغُلُوّ، فيتهمون الشيخ، ويجعلون قبة الرسول مثل القباب التي على القبور المبنية عليها تعظيماً لها، وهذا غلط، القباب المبنية على القبور مخالفة للشرع، يعني بأن يُدفن الميت ويُقام على قبره بناية وقبة، أو يُجعل مسجداً، هذا الذي نَهَى عنه الرسول ﷺ؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك، الصحابة أفضل قرون الأمة كانوا يُدفَنون في البقيع، ولا يُجعل على قبورهم شيء، وإنما الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ عُزِل وجُعِل في بيته حفاظاً عليه من الغُلُوّ، وفرقٌ بين ما بني عليه غُلُوّاً فيه وبين ما دفن في بيته حفاظاً عليه من الغُلُوّ.

فالبناء على القبور تعظيماً لها منهيٌّ عنه، وهو وسيلة من وسائل الشرك، ومما يجعل العوام يتعلقون بها، لكن قبر الرسول ما بُني عليه،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وإنما دُفن في بيته عليه الصلاة والسلام، وعرفنا العلّة: أنه لأجل المحافظة عليه، ما رأيكم لو كان الرسول مدفوناً في البقيع، ماذا يكون عنده من الزحام والغُلُوّ، وفعل الجهّال؟ ولكن الله أجاب دعاء نبيه فقد قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد»(١)، فأجاب الله دعاءه ودُفن في بيته محافظة عليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢):

فَأَجَابَ رَبُّ العالمينَ دُعَاءَهُ ... وَأَحَاطَهُ بِثَلاثَةِ الجُدْرَانِ
حتَّى اغتدتْ أَرْجَاؤهُ بِدُعَائِهِ ... في عِزَّة وحِمَايةٍ وَصِيَانِ

هذا الفرق بين قبر الرسول ﷺ وقبر غيره مما بني عليه، فلا يُشتبه علينا هذا بهذا، ونقول: قبر الرسول مبني عليه، وعليه قبة، فعلى هذا يجوز البناء على القبور الأخرى وجعل عليها قباب؛ كما يقوله الخرافيون.

* * *

(١) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (٤١٤) مرسلاً من حديث عطاء بن يسار ﷺ، وأخرجه ابن عبد البر متصلاً مسنداً من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، في «التمهيد» (٥/٤٣)، وانظر: «الاستذكار» له (٢/٣٥٩).
وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢/٢٤٦ رقم ٧٣٥٨) بنحوه، والحميدي في «مسنده» (٢/٤٤٥ رقم ١٠٢٥)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/٢٤١) من حديث أبي هريرة ﷺ، وليس فيه: «يعبد».

(٢) انظر: «شرح النونية» لأحمد بن عيسى (٢/٣٥٢).

ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب، وإني أحرم زيارة قبر النبي ﷺ، وإني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما، وإني أكفّر من حلف بغير الله.

وهذا من الكذب على الشيخ، أنه يقول: «**لو أقدر على أخذ ميزاب الكعبة**»؛ لأن ميزاب الكعبة مصنوع من الذهب، يقولون عن الشيخ: إنه يقول: «**لو أقدر لخذته، وجعلت مكانه ميزاباً من خشب**». وهذا كذب على الشيخ، ولا مانع من أنه يُجعل ميزاب الكعبة من الذهب؛ لأن الذهب لا يَخْرب ولا يتغيّر، أما لو كان من الخشب لأكلته الأَرَضَةُ، وتَغيّر، فالشيخ ما قال في ميزاب الكعبة شيئاً أبداً، ولكن اتهموه بهذا، حتى قالوا: إنه يقول: إن عصاي هذا أفضل من الرسول؛ لأن الرسول ﷺ ميت ولا ينفع أحداً، وعصاي هذا أنتفع به وأضرب به. هذا من أعظم الكذب على الشيخ.

كذلك زعموا أن الشيخ حَرَّم زيارة قبر النبي ﷺ، وهذا غير صحيح، بل كان رحمه الله يزور قبر النبي ﷺ، فقبر الرسول يُزار كما تُزار القبور، قال ﷺ: «**فزوروا القبور فإنها تُذكر الآخرة**»[1]، فَمِنْ ضِمْنِ ذلك: قبر الرسول ﷺ يُزار ويُسلّم عليه؛ كما تُزار القبور ويُسلم عليها، فهو لم يُنكِر الزيارة الشرعية، وإنما يُنكر الزيارة البدعية أو الشركية لقبر الرسول ولغيره، فالذي يزور القبور ليدعو الأموات، ويستغيث بأصحاب القبور ويتبرّك بها، ويتبرّك بترابها، هذا هو الذي يمنعه العلماء ـ الشيخ وغيره ـ أما الزيارة الشرعية التي يُقصد منها السلام على الميت والدعاء

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦) بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

له، والاعتبار بالقبور فهذه لا ينكرها أحد من العلماء.

فالشيخ يُنكر الزيارة الشركية والبدعية للقبور، ولا ينكر الزيارة الشرعية، ولكن هم يُلَبّسون على الناس بهذا الكلام.

قوله: «وإني انكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما»، كذلك هذا بناءً على أنهم يقولون: إنه يُكَفّر الذين سبقوه، فيقول للناس: لا تزوروا والديكم؛ لأنهم كُفّار. وهذا كذب، فالشيخ لا يدري عن الذين ماتوا وعمّا ماتوا عليه، والأصل إحسان الظن بأموات المسلمين، فهذا من الكذب على الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقوله: «وإني اكفّر من حلف بغير الله»، كذلك الحلف بغير الله، قال الرسول ﷺ: **«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»**[1]، ولكن ليس معناه الكفر المخرج من الملّة، وإنما هو كفرٌ أصغر، وشركٌ أصغر لا يُخرج من الملة، فالذي يقول: إنه كفر أو شرك، إن كان يقصد أنه شرك أصغر وكفر أصغر فهذا صحيح؛ لأن الرسول سمّاه كفراً وسمّاه شركاً، أما إن كان يقصد أنه الكفر المخرج من الملّة فهذا باطل.

* * *

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وأحمد (٢/ ١٢٥ رقم ٦٠٧٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وإني أكفِّر ابن الفارض وابن عربي، وإني أُحَرِّق «دلائل الخيرات» و«روض الرياحين»، وأسميه: روض الشياطين[١].

ابن الفارض صاحب المنظومة التائية في وحدة الوجود، فيها كُفْرٌ وإلحاد والعياذ بالله، ولكن الشيخ لا يُكفر صاحبها؛ لأنه لا يدري ماذا خُتم له، ولا يدري هل بلغته الحجة أو لم تبلغه، فهو يقول: إن ما فيها إلحاد وكفر، ولكن صاحبها يتوقف فيه، هذا مذهب أهل السنة والجماعة أنهم لا يشهدون لأحد بجنة أو نار إلا من شهد له رسول الله ﷺ.

وابن عربي معروف، هو محيي الدين بن عربي الطائي إمام أهل وحدة الوجود، وابن الفارض من أتباع ابن عربي، ومع هذا فإن الشيخ لا يجزم بكفرهما، وإن كانا قالا كفراً وضلالاً وإلحاداً، ولكن تكفير المعين يحتاج إلى دليل؛ لأنه ربما أنه تاب، وربما خُتم له بتوبة، فالله أعلم.

ومن الكذب على الشيخ أيضاً: قولهم: إنه أَحْرَق دفتر «دلائل الخيرات»، ودلائل الخيرات هو كتاب في «الصلاة والسلام على خير البريّات»، فيه غُلُوّ، وفيه دعاء للرسول ﷺ، فهو كتاب فيه باطل، ولكن الشيخ لم يُحَرّقه، ولكنه كان يوصي بقراءة الكتب المفيدة الخالية من المخالفات.

وكذلك «روض الرياحين»، هو من كتب الغُلُوّ في النبي ﷺ، ولكن تحريقها لا يؤدي إلى نتيجة.

وافتروا على الشيخ وقالوا: سمَّاه «روض الشياطين»، وهذا كُلّه من الكذب على الشيخ رَحِمَهُ اللهُ.

---

(١) انظر: «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» (٥٠٤ ـ ٥٠٥).

جوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم. وقبله مَنْ بَهَتَ محمداً ﷺ أنه يسبّ عيسى بن مريم عليهما السلام ويسبّ الصالحين، فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٥]، بهتوه ﷺ بأنه يقول: إن الملائكة وعيسى وعزيراً في النار، فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١].

هذه المسائل التي افتروها، قال رحمه الله في جوابه عنها: «**سبحانك هذا بهتان عظيم**» كل ما قيل في هذه الكلمات فهو بهتان عظيم لم يقله الشيخ، وهو منه بريء، رحمه الله رحمة واسعة.

وقوله: «**قبله مَنْ بهت محمداً ﷺ**»، «**قبله**» يعني: قبل ابن سحيم، من بهت رسول الله ﷺ من الكفّار والمشركين، فلي أسوة بالرسول ﷺ إذا بهتني ابن سحيم، فالرسول ﷺ بُهت بما هو أعظم من هذا.

قالوا في الرسول: «**انه يسبّ عيسى بن مريم**» وذلك لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨]، قالوا: محمد يسبّ عيسى وأمه؛ لأن عيسى عُبد من دون الله فمعناه أنه يُلقى في النار، ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ [الزخرف: ٥٨] يعنون عيسى عليه السلام، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢]، فالآية فيمن عُبد وهو راضٍ، وعيسى لم يرض ولم يأمرهم بعبادته، بل أمرهم بعبادة الله عز وجل، ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ

اعبدوا الله ربي وربكم﴾ [المائدة: ١١٧]، ﴿وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴿٣٦﴾﴾ [مريم: ٣٦]، فعيسى عليه السلام ما دعا الناس إلى عبادة نفسه بل أنكر هذا، إنما الذين يدعون الناس إلى أن يعبدوهم هم الذين يكونون في النار مع عبدهم.

أما عيسى وعزير وغيرهما من الأنبياء فإنهم ينكرون هذا في حياتهم، ولما ماتوا فعل الناس هذا بهم بعد موتهم، قال عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ [المائدة: ١١٧]، فالأنبياء والرسل والصالحون لا يأمرون الناس أن يعبدوهم ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٩]، ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله﴾ [آل عمران: ٧٩]، فنزّه الله الأنبياء عن هذا الكلام، فعيسى ما قال لهم: اعبدوني. وإنما هم عبدوه بعد موته، فلا لوم عليه عليه الصلاة والسلام، وردّ الله عليهم بقوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾، ومنهم عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون ﴿١٠٢﴾﴾، وقال في الزخرف: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون ﴿٥٧﴾﴾ [الزخرف: ٥٧].

قالوا: إذا كانت الآلهة في النار فعيسى معهم؛ لأنه معبود من دون الله. يريدون أن يردّوا على الرسول ﷺ، قال الله ـ جلّ وعلا ـ: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ﴿٥٨﴾ إن هو إلا عبد﴾ يعني: عيسى عليه السلام ﴿أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل﴾ [الزخرف: ٥٩]، فالله ردّ عليهم في موضعين: في سورة الأنبياء، وفي سورة الزخرف، وهكذا القرآن يرد على أهل الباطل ويفنّد شبهاتهم ولله الحمد.

فإذا كانوا اتهموا الرسول ﷺ بأنه يُكَفِّر المسيح، وأنه يقول: إنه في النار؛ لأن النصارى عبدوه، فكيف لا يتهمون الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟!

«بهتوه ﷺ بانه يقول: إن الملائكة وعيسى وعزيراً في النار»؛ لأنهم عُبدوا من دون الله، والآية تقول: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾، يقولون: هذه عامة للملائكة ولعيسى وعزير والصالحين.

الجواب: أن هؤلاء لم يريدوا أن يُعبدوا من دون الله، بل كانوا ينكرون هذا في حياتهم، فهم مبعدون عن النار، ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾، وهم عيسى وعزير ومن سبقت له الحسنى من الله فإنه مبعد من النار، ولو عُبد بعد موته فهذا لا يضرّه؛ لأنه كان ينكره يوم أن كان حيّاً.

ونبينا محمد ﷺ عُبد بعد أن مات، يعبده الخرافيون والمشركون، هل هذا يُذم به الرسول ﷺ، أو يُقال: إن محمداً في النار؛ لأنه عُبد من دون الله؟ لا؛ لأنه كان ينكر هذا في حياته، ويجاهد عليه بالسيف، أما كونه يُعبد بعد موته فلا يرجع عليه في ذلك ملامة.

* * *

وأما المسائل الأُخَر وهي:

أني أقول: لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى «لا إلٰه إلا الله»، وأني أعرّف من يأتيني بمعناها، وأني أكفّر الناذر إذا أراد بنذره التقرب لغير الله، وأخذ النذر لأجل ذلك، وأن الذّبح لغير الله كُفرٌ والذبيحة حرام.

فهذه المسائل حقّ وأنا قائلٌ بها، ولي عليها دلائل من كلام الله وكلام رسوله ﷺ ومن أقوال العلماء المتبعين؛ كالأئمة الأربعة، وإذا سَهّل الله تعالى بسطتُ الجواب عليها في رسالة مستقلة إن شاء الله تعالى.

ثم اعلموا وتدبروا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ ...﴾ الآية [الحجرات: ٦].

قوله: «لا يتم إسلام عبد حتى يعرف معنى لا إله إلا الله»، هذا صحيح، والشيخ رحمه الله يُعلّم الناس معنى (لا إله إلا الله) بأن معناها: لا معبود بحق إلا الله، وما سواه فعبادته باطلة وشرك، هل هذا يُلام الشيخ عليه؟! الجواب: لا، بل هذا منهج الأنبياء.

وقوله: «وأني أكفّر الناذر»، هذا أيضاً صحيح، مَنْ نذر لغير الله فإنه كافر؛ لأنه صرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله، فلا لوم على الشيخ ولا على غيره إذا كفّره بذلك.

وقوله: «وأن الذبح لغير الله كفر»، هذا صحيح؛ لقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾

[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وفي السنة: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»(١).

وقوله: «والنبيحة حرام»؛ لأنها مما أُهلّ به لغير الله، والله ـ جلّ وعلا ـ يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ويقول: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣].

وقوله: «فهذه المسائل حقّ وأنا قائلٌ بها»: لأن هذا مقتضى الكتاب والسنة، فلا لوم على الشيخ، بل يُشكر على هذا ويُدعى له، ولكنهم يَعُدّون المحاسن سيئات.

وبهذا انتهى الشرح على هذه الرسالة المباركة، والله تعالى أعلم، وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

تمّت

في ١٨/١/١٤٢٦هـ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الفهارس العامة

* فهرس الآيات.
* فهرس الأحاديث والآثار.
* مراجع التحقيق.
* فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»	١٨
«الإيمان يضع وسبعون شعبة»	١٣٧
«بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»	٤٢
«بعثت أنا والساعة كهاتين»	٩٩
«خيركم قرني ثم الذين يلونهم»	٤٦، ١٠٢
«ذمة المسلمين يسعى بها أدناهم»	١٢٩
«ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة»	١٥
«فزوروا القبور فإنها تذكر الآخرة»	١٥٣
«قدر الله وما شاء فعل»	٦١
«كل بدعة ضلالة»	١٣١
«لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك»	٨٧
«لا تدري ماذا أحدثوا بعدك»	٧٨
«لا تسبوا أصحابي»	٤٤، ١٠٢
«لا طاعة في معصية الله»	١٢٨
«لا نبي بعدي»	١٠٠، ١٠١
«لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث»	٤٩
«لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»	١٤٩
«لعن الله من آوى محدثاً»	٨٢
«لعن الله من ذبح لغير الله»	١٦٠
«ما تأمرني إن أدركني ذلك»	١٢٧
«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»	٦٤
«المسلمون يد على من سواهم»	١٢٩
«من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد»	١٣٠
«من بدل دينه فاقتلوه»	٤٩
«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»	١٥٤
«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده»	١٣٨، ١٤١

مراجع التحقيق

- الأحاديث الطوال: للطبراني، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ترتيب ابن بلبان الفارسي: تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، ١٤١٢هـ، الطبعة الأولى.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تخريج: فريح البهلال، رئاسة إدارة البحوث العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ.
- البداية والنهاية: للحافظ ابن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر.
- البداية والنهاية: للحافظ ابن كثير، تحقيق: محمد عبد العزيز النجار، مكتبة الفلاح، الرياض.
- تفسير ابن جرير الطبري: طبع ونشر: مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٣هـ.
- تفسير عبد الرزاق الصنعاني: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
- تفسير القرطبي: للإمام القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ.

- الجامع الصحيح (سنن الترمذي): للترمذي تحقيق: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الجامع الصحيح (سنن الترمذي): للترمذي، طبعة بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠هـ.
- الجمع بين الصحيحين: لعبد الحق الإشبيلي، دار المحقق للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للسيوطي، دار الفكر ١٩٩٣م.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية: جمع عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم النجدي، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ.
- سنن ابن ماجه: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٢هـ.
- سنن ابن ماجه: طبعة بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠هـ.
- سنن أبي داود: تحقيق: عزت عبيد الدعاس: دار الحديث، سوريا، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.
- سنن أبي داود: طبعة بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠هـ.
- سنن الدارمي: تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- سنن سعيد بن منصور: لسعيد بن منصور الخراساني، دار الصميعي، الرياض، ١٤١٤هـ، الطبعة الأولى.
- السنن الكبرى: للبيهقي، دار الفكر.
- السنن الكبرى: للنسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- سنن النسائي: تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب ١٤٠٦هـ.
- سنن النسائي: طبعة بيت الأفكار الدولية، ١٤٢٠هـ.
- سير أعلام النبلاء: للذهبي، نشر: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى.

- شرح القصيدة النونية: لابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.
- شرح الكافية الشافية: لابن مالك، تحقيق: علي معوض وعادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- صحيح البخاري: دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- صحيح مسلم بشرح النووي: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.
- صحيح مسلم: تحقيق: لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- العقيدة الواسطية: لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء، الرياض، ١٤١٢هـ، الطبعة الثانية.
- عنوان المجد في تاريخ نجد: لعثمان بن بشر النجدي، دار الحبيب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت.
- كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد: لمحمد بن عبد الوهاب، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٨هـ.
- لوامع الأنوار البهية: لمحمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقين، ١٤٠٢هـ.
- مجموع الفتاوى: لابن تيمية الحرَّاني، جمع وترتيب عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم وولده محمد، طبعة مجمع الملك فهد.
- مجموع مهمات المتون: دار الفكر للطباعة.
- مجموع مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: دار القاسم.
- المستدرك: للحاكم، دار المعرفة.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل: لأحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: مؤسسة قرطبة.
- مسند الشاميين: للطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- المعجم الكبير: للطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.
- الملل والنحل: لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- منهاج السنة النبوية: لابن تيمية الحرَّاني، تحقيق محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- الموطأ: للإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
- مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب: مكتبة ابن تيمية.
- النبوات: لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- نظم المتناثر من الحديث المتواتر: لجعفر الحسيني الإدريسي الكتُاني، دار الكتب السلفية للطباعة، مصر.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار: للإمام محمد بن علي الشوكانيّ، مكتبة دار التراث، القاهرة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة